# ٣٧٥ درجة فهرنهايت

«وما الحياة الا فرن متوسط درجة الحرارة»

٣٧٥ درجة فهرنهايت
نورا مصيلحي
**الطبعة الأولى ٢٠١٩**

تصنيف الكتاب: أدب/مجموعة قصصية

التنسيق والإخراج الفني: أحمد محمد زويل
تصميم الغلاف: محمد دربالة
رقم الإيداع: ٢٠١٨/ ٢٢٥٠٢
الترقيم الدولي: 978/ 977/ 6282/ 64/ 3

٣٤ ش المدارس الصيادين الزقازيق
موبيل: ٠١٢٨٢١٣٣٨٩٠
الراوى للنشر والتوزيع :Facebook
E-mail: elrawy502@gmail.com
المدير العام: عبدالغني عبدالله

جميع الحقوق محفوظة لـ «دار الراوى للنشر» ولا يجوز بأي صورة إقتباس
أو إعادة طبع، أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إليكترونية، أو في وسيلة سمعية أو
بصرية إلا بإذن كتابي مُسبق من الدار وإلا تعرض للمسائلة القانونية.

نورا مصيلحي

مجموعة قصصية

# ٣٧٥ درجة فهرنهايت

«وما الحياة الا فرن متوسط درجة الحرارة»

مقدمة:

درجة الحرارة الآن ٣٧٥ فهرنهايت.. هيا ..انضجوا.. لقد حان وقت مغادرة القالب

طال بقاء قالب الكعك داخل الفرن عشرة أعوام .. عشرون عاما .. أربعين .. أو أكثر..

يتوقف الأمر على كل تلك الأشياء الصغيرة التى وضعناها فى داخله، كما يتوقف أيضا على كم لزم الأمر كى ينصهر كل ذلك .. عند درجة الحرارة المناسبة حتى يصل إلى تمام النضج.

وهنا تدق الساعة المنبهه المثبته بأعلى الفرن.. حانت لحظة النضج.. تلك اللحظة التى يختلط فيها كل شئ وضعناه بالداخل ليخرج لنا فى هيئة متماسكة واحدة.. اللحظة التى ينفصل فيها تماما عن إنائه الذى ظل يحتويه كل هذا الوقت كسائلا رخوا لا تعرف مكوناته طريقها للترابط معا

أية محاولة لإخراجه قبلها ستترك جروحا عميقة فى قطعه الكعك .

وكل لحظة بعد هذه اللحظة تؤذيه، تحرقه، و تُفقد الخليط لذته .. فتطرده الأوانى وتعافه الشهية، فتنتهى رحلته قبل أن تبدأ.

ولهذا يلزم الأمر الكثيييييير من اليقظة والانتباه لكل شئ وضعناه فى الفرن.

استمعوا بحرص إذن إلى تلك الساعات المنبهة المثبته على جدران عقولكم.. انصتوا جيدا لأصوات كل الأشياء بداخلكم وهى تتصارع لتختلط ببعضها... وتعلموا متى تحين اللحظة التى يجب عليكم مفارقة دفء درجة الحرارة ٣٧٥ فهرنهايت الذى نعيش فيه لنخرج إلى العالم البارد.. نواجه ذواتنا الحقيقية ونعيش رحلتنا كما هو مقدر لنا. هى دائما لحظة يتغير عندها كل شئ... تهدأ فيها كل المعارك الدائرة داخل نفوسنا، ينتهى الصراع، وينضج قالب الكعك ويصبح جاهزا تماما للتناول على مائدة الحياة..

هى لحظة.. ربما يهديها لنا القدر.. وإن لم يكن فلنهديها نحن لأنفسنا.

هيا انضجوا إذن .. حان الوقت لمغادرة القوالب التى نعيش فيها.. وأيا كانت النتيجة حلوة أو مالحة.. قاسية أو ناعمة تذوب فى الفم.. لا يهم .. لكل منا مذاقه كما لكل منا تجربته وصراعاته

وهذا النص هو حكايات بعض هؤلاء الذين نضجوا ... تناولوها على مهل فربما ساعدت البعض منكم فى إشباع شهيته للحياة التى يتمناها لنفسه بكل ما فيها من لذة حقيقية، ومتعة تروى ظمأ القلب وجوع الحواس.

## كعكة البرتقال

بمكوناتها البسيطة الموجودة فى كل البيوت خرجت لنا هذه الكعكة من الفرن لتعلن أنها اكتملت تماما فى النضج، ولم يعد لبقائها هناك أى داع.

## جماعة حسن طلبة

كيوبيد اتعمى .. بدل ما يرمينى بسهم محبة بنت حلوة كدة وقطقوطة .. سحبنى من رقبتى وربطنى فى حبل مشنقتك .. يوم الفرح لقيت المعازيم كلها زى اللى قاعدين فى مسرحية نصهم مش عاجبه وساكت و النص التانى فطسان على روحه من التريقة..

يا ريتنى ما كنت خرجت من بيتى يومها ولا قابلتك .. عارفة!.. أنا بس يرجع بيا الزمن لورا .. وأنا مش fمش بس «متجوزكيش» .. ده أنا ما اتجوزش خالص أرحم .. منه لله اللى كان السبب...

وبعد أن انتهى من كلامه.. رفعت إليه عينين دامعتين، ولكن فيهما من الثقة و التحكم ما يكفى لجعل كلماتها القادمة كلمات جادة لا انفعال فيها تعبر عن أمر أكثر منه طلب « طَلَّقنى» قالت .. ثم انصرفت فى هدوء وثقة إلى غرفتها .. جمعت ملابسها القليلة فى حقيبة حملتها فى يد، وفى اليد الأخرى حملت طفلتها .. مرَّت بكراسى الصالون التى كان يجلس على إحداها وكأنها تمر بمحطة ترام ، مليئة بالبشر ولكننا لا نعرف منهم أحد فنشعر بذلك الإحساس الذى يجعلنا ندركها وكأنها خالية ..

لم يحاول منعها من المغادرة .. ولكن هَزّته خبطة الباب وراءها فجلس يؤنب نفسه « كان لازم يعنى يا حسن يا طلبة تزودها أوى كدة .. وبعدين إيه لزومه تجيب سيرة الفرح دلوقت ..ما خلاص يا عم اللى حصل حصل .. وأديك اتنيلت واتجوزتها وخلفت منها» يالا ..أهو الواحد يرتاحله يومين

من النكد وبعدين أبقى أروح أجيبها من بيت أبوها» ... أنهى حواره مع نفسه وبضمير مرتاح دخل إلى غرفة النوم، استلقى على السرير فارداً ذراعيه وقدميه .. تنفس بعمق .. علت وجهه ابتسامة ارتياح، وراح فى نوم عميق ..

وبعد يومين...

يقف حسن طلبة أمام بيت حماه .. يدق الجرس .. يُفتَح الباب.. أهلا يا حسن يا بنى .. أُمال ماجبتش الجماعة معاك ليه؟ .. وقبل أن يخطئ ويخبرهم بالحقيقة يستدرك قائلاً ..» آه .. أنا أصلى لقيت نفسى قريب قلت أعَدّى» .. غريبة مش عوايدك ..اتفضل يا بنى .. عشر دقائق لا أكثر أمضاها فى منزل حماه .. كان جالساً فيهم كما قالت حماته «مش على بعضه» .. بمجرد أن انتهى من الشاى نزل مهرولاً إلى البيت .. امسك بالهاتف وجلس يجرب أرقام كل أقاربهم و أصحابهم ومعارفهم.. وفى كل مرة يخترع حجة « قُلت اسال» .. « بس باطمن عليكم».. جيتوا فى بالى مرة واحدة» ..

انتهت حججه التى يعرفها وانتهت الأرقام الموجودة بالهاتف.

طب راحت فين .. معقول تكون عملت فى نفسها حاجة ..طب و البنت .. لا لا مش معقول ، لو هانت عليها نفسها مش هتهون عليها البنت...

أربع سنوات الآن ... وحسن طلبة يسأل فى كل مكان « مخلاّش» كما يقول .. لا قسم شرطة ولا ملجأ حتى دور المسنين ، حتى مستشفى المجانين سألت فيها...

طب ليه ماراحتش عند أمها .. أوعند حد من صحباتها ... معقول تكون سافرت بره البلد؟! ... طب جابت فلوس منين ....دى لا معاها دهب ولا فلوس.. وهو يعنى كان إيه اللى زعلّها قوى كدة؟ .. واشمعنى المرة دى ما أنا طول عمرى باشتم وأزعق فيها؟ ..

ألف سؤال وسؤال ولا إجابة واحدة ... لا أحد يعرف حتى الآن أين ذهبت جماعة حسن طلبة كل هذه السنوات..

خصوصا، وأنها لا تحمل ما يساعدها على المُضى هناك.. ولكن .. من المؤكد أيضا أن ليس لديها شيئا يدفعها للعودة إلى هنا...

**ترايفل**

هى خلطة من بقايا كل الأشياء الحلوة التى حاولنا أن نصنعها ولكننا لم نفلح فأطلقنا عليها اسما لافتا لتبدو كشئ ذو قيمة.. لا أحد يعلم بحقيقة صراع كل هذه المكونات غير المتجانسة التى بداخلها.

**أحمد**

من أنا ؟!..

أنا أحمد .. فقط أحمد، أى أحمد .. لم أشعر يوما أن اسمى مميزا حتى أتوقف عنده ..

عنوانى؟! واحد من تلك الأحياء التى تغص باللآف من هؤلاء الذين لا تقسم لهم الحياة نصيبا خاصا ولكن تتصدق عليهم بحاصل مخلفات المحظوظين بها وفيها .. نجنى نحن حاصل كل مخلفات حياتهم .. نرتدى ما يرمونه من ملابس بعد أن يعاد عرضها فى أسواق الفقراء .. ونأكل فضلاتهم التى تخرجها مطاعمهم وفنادقهم .. نشترى الكتب التى يتخلصون منها من أرصفة الكتب المستعملة.. نتنفس عوادم سياراتهم .. ونعمل فى الوظائف التى يتعففون عن العمل بها...

كل مؤهلاتى العلمية ٦ سنوات قضيتها فى مدرسة الإخلاص الثانوية، لم يزعجنى أنى كنت أمضى كل عام دراسى فى عامين كما كانت تقول لى أمى ، ولكن اسم المدرسة كان هو أكثر ما يزعجنى ... لم أفهمه يوما، أو بمعنى أدق لم استسغه.. (الإخلاص) لمن؟ ولماذا؟ وكيف فى ظروف مثل التى نعيشها؟!...

حسن ابن عمى يسكن فى المنزل المجاور لنا، حصل على الثانوية العامة بتفوق مشهود، والتحق بكلية الهندسة... حلم أمى الكبير أن ترانى

مثله أحمل «شهادة الهندسة»... تراه أمى نموذجا، وأنا أحب أمى كثيرا، وأحب ما تقوله، غير أنى لا استطيع أن أرى حسن إلا شخصا ساذجا... أشفق عليه وهو يحرم نفسه من أبسط الأشياء «زجاجة الكوكا كولا» التى يعشقها ليشترى مسطرة حرف تى أو دفتر محاضرات جديد ... إذا كان هنالك معنى للإخلاص فهو يتمثل فى حسن ابن عمى، فقد كان مخلصاً لفقره أشد الإخلاص...

تخرج حسن من الجامعة فى نفس العام الذى حصلت فيه على الثانوية العامة... وعلى خلاف جميع توقعات المحيطين بى، وتوقعاتى أنا شخصيا حصلت على مجموع كبير يؤهلنى لدخول كلية الهندسة... وفى اليوم المقرر لتقديم الأوراق للكلية اشتركت أمى أن أذهب مع حسن ليفيدنى بخبراته، كان حسن مشغولا بالتجهيز لمقابلة عمل جديد، تقاسمنا الأحلام والطريق و»أجرة التاكسى» .. ذهبت معه أولا لمقابلته، ثم جاء هو معى للجامعة لينقل لى خبراته التى لا تتجاوز قاعات الدرس والمكتبة.

لن أحكى ما حدث، ولكنه كان كفيلا بأن يجعلنى أنضج فى لحظة واحدة لأعيد النظر فى كل شئ وخصوصا «شهادة الهندسة» . فى أفلام الأبيض والأسود التى تربيت عليها فى تليفزيون منزلنا القديم.. كان البطل ابن الفلاح ينجح فى عمله، ويتزوج البطلة ويرث كل أموال أبيها فى نهاية الفيلم لمجرد أنه أصبح «أفندى بشهادة»، حتى نحن المشاهدين كنا نفضله على «ابن الباشا» ذلك الفتى المدلل الذى لم يفعل لنا شيئا طوال الفيلم سوى أنه لم يفلح فى دراسته... أما الآن فاستعير جملة واحدة من كلام كثير قاله صاحب الشركة لحسن، «الشهادات مبقاش فى أكتر منها»... أدركت وقتها فقط أن الشهادات الجامعية دخلت مفرزة الحياة إياها فصارت من نصيبنا نحن بينما توزع الحياة أنصبتها من المجد والنجاح لهؤلاء الذين يحملون شهادات كتلك التى كان يعلقها صاحب الشركة فى مكتبه ..

دكتوراة فخرية من جامعة كذا وعضوية شرفية فى جامعة كيت.

لم أجرؤ على مفاتحة حسن فى آرائى هذه، خاصة فى ظل الحالة النفسية السيئة التى أصابته بعد رفضه للمرة العاشرة فى مقابلة عمل .. حاول هو أن يتجاهل حزنه ويعيش معى فرحة دخولى الجامعة وكلية الهندسة بالذات فاشترى لى ولنفسه زجاجتى»كوكا كولا» .. ابتلع هو بها مرارة الفشل ، أما أنا فهضمت بها أفكارى الجديدة.

عدنا إلى البيت بعد أن أتممنا إجراءات التقديم، وبعد أيام جاءنى خبر قبولى بكلية الهندسة. أعدت أمى الحلوى لكل سكان الحى، أما أنا فأشفقت عليها من هذه النفقات التى زادت على مصروف البيت، فأنا أعلم أنها ستضطر لتعويضها على حساب نصيبها هى طبعا من المأكل والملبس بل ومن النوم، حيث يقتضى الأمر عادة منها أن تعمل لساعات أطول.. كل هذا العناء بسبب « الإخلاص» الذى تميزت به أمى لعاداتها القديمة بمشاركة أهل الحى أفراحها وأتراحهم، وإن كانت ترفض تماما أن يشاركها هى أحد أحزانها.

فى أول أيام العام الدراسى .. استعرت من حسن مسطرة حرف الـ تى التى لم أعرف بعد فيما سأحتاجها، ولكن هكذا طلبت أمى.. وأنا أفعل كل هذا فقط لأرضيها لأحقق لها حلمها الذى ها هو يتحقق، وأخيرا ذهبت إلى كلية «الهندسة».

بدأت رحلتى فى هذا المكان حين تقدمت منى إحدى الفتيات بسؤال برئ عن المسطرة التى أحملها فى يدى؟ لم أعرف وقتها كيف نطق لسانى بالجملة التالية ولا أعرف حتى الآن .. ولكنى بدون لحظة تفكير واحدة وجدتنى أقول لها .. أنا هنا بابيعهم .. تحبى اشتريلك واحدة؟.. بكام؟.. هاتلى ثلاثة ... ودارت حياتى فى الجامعة على النحو التالى:

«صورلى الورق ده يا أحمد .. تعرف كتاب الدكتور فلان «بيتباع فين»؟، «عاوز ثلاث نسخ» .. «أحمد روح هاتلى قلم» .. «متنساش تعدى على المطبعة وتوصيهم يخلصوا الكتاب يا أحمد».. «جمّع لى يا أحمد فلوس المذكرات من سنة أولى» .. «ممعاكش محاضرات إعدادى يا أحمد»..

عشر سنوات وأنا على هذا الحال ... أمى متفائلة جدا، فقد أغراها حصولى على الثانوية العامة بعد ستة أعوام بمجموع أهلنى لكلية الهندسة، ولهذا فعشر سنين «مش كتير» على شهادة «الهندزة» كما تنطقها أمى... أما أنا فلا يهمنى سوى أن تكون أمى راضية وهى هكذا عادة.

ما لا تعرفه أمى حتى الآن هو أن صافى ربحى اليومى يعادل المرتب الذى ما زال حسن ابن عمى يحلم به، اشتريت شقة فى أحد الأحياء التى كان من أحلامى أن أسير فيها يوما.. ولكنى لا أفكر فى الزواج فأنا من الذين يخشون أن يتركوا وراءهم ذرية ضعافا....

لا اعلم ماذا أريد الآن، أفكر أحيانا فى استغلال علاقاتى بالجامعة لأستكمل دراستى وأحقق حلمى أمى « بالشهادة»، استطيع دخول جميع الامتحانات والنجاح فيها بتقدير امتياز دون أدنى جهد .. فأنا أعلم كل حرف تم وضعه فى كل كتاب بهذا المكان.. كتبتها وطبعتها آلاف المرات.. ولكنى أخشى من نظرات الطلبة والأساتذة فكلهم يعرفوننى بـ (أحمد) لا الزميل أحمد ولا الطالب أحمد، وإن كان البعض ينادوننى بـ(الباشمهندس أحمد) وهم فى الغالب جدد هنا وهذا هو لقائهم الأول معى، حتى يعرفون بعدها أننى فى النهاية لست سوى (أحمد) ... لا أعلم ماذا يصنع الأغنياء بأموالهم.. هذه هى الحقيقة التى اكتشفتها متأخراً ... قديما كنت أظن أنه بمجرد أن يسقط المال فى يدى اليمنى سأنفقه باليد اليسرى ... أحيانا أفكر فى أن انتقل للعيش وحدى بشقتى الجديدة، سأدعى أنى سافرت فى منحة دراسية طويلة، ولكنى لا أستطيع العيش بدون أمى.. ثم حاولت

إقناعها بتجديد البيت، ومنحتها مبلغا كبيرا أخذته بعد أن اقتنعت أنى أعمل بعطلات الصيف وليس هذا هو السبب أبدا فى فشلى الدراسى، ولكنها كعادتها أنفقته فى شراء بعض المستلزمات لتدخرها لزواج أختى... إذا اشتريت سيارة سيستغرب أهل الحى وربما يشكّون فى أمرى ويتهموننى بتجارة المخدرات أو بالمشى «البطال» .. هكذا هم أهل حارتنا لا يصدقون أن هناك طرق أخرى لجلب الأموال والعيش الرغد سوى الطرق غير المشروعة.. يستمرئون بذلك حالة الفقر التى يعيشون فيها.. فهى العيش الحلال الذى سيقودهم للجنة!. كما أننى سأكون بذلك كمن يقطع عيشه بيده ... سأخسر فكرة الآخرين عن ذلك الشاب المسكين الذى يجرى وراء رزقه ليعول به أمه وإخوته، والتى هى سببا فى جزء كبير من دخلى، ثم إنه إذا رآنى زبائنى الآن أدخل الجامعة بسيارة.. فأنا حتما سأخسر عطفهم وأموالهم معاً .. حتى ملابسى مازلت أحرص على أن تكون بسيطة أشتريها من ذات الأسواق الشعبية التى اعتدت دائما على الشراء منها.

أحيانا أفكر أن أؤسس لنفسى مشروعا خاصا.. ربما افتتح مكتبا مبهرا مثل تلك المكاتب الفخمة التى يجلسون بها.. وأن يصبح اسمى السيد «أحمد بك رئيس مجلس الإدارة» .. ولكنى لا أعرف لنفسى مهنة أخرى.. فى البداية كنت أفرح بلحظات اختلسها داخل مطعم لأطلب ما لذ وطاب ... كان (الطعام الفاخر) يجعلنى سعيداً وراضياً عن نفسى على الرغم من نظرات الاحتقار التى تطل من عين العاملين بالمطعم منذ لحظة دخولى حتى يخرسهم جميعا» البقشيش» المبالغ فيه الذى أحرص على دفعه... حتى أصبحت أجد نفسى كثيرا تتأفف من كل هذا الطعام «الماسخ»، وأصبحت اشتاق أكثر وأكثر لطعام أمى الخالى من كل شئ إلا رائحة وطعم حنانها الدافئ.

ليس الطعام وحده، بل حياتى كلها أصبحت بلا طعم.. أحيانا أشفق

على زملائى _إذا كان مسموحاً لى أن أسميهم زملائى _ فأنا ما زلت اعتبر نفسى طالبا بكلية الهندسة، أرغب أن أنصحهم باختصار الطريق مثلما فعلت.. وأحيانا أشفق على نفسى وأنظر إليهم بحسرة وغصة تملأ قلبى على ما كان يمكن أن أكون عليه.. أينا اتخذ القرار السليم لا أعرف.. مللت التفكير.

كما أنى زهدت كل شئ حتى أنى أتمنى أحيانا أن تصدمنى سيارة وأنا فى طريقة للجامعة فأموت لينتهى كل هذا الجدل الذى أمثله بشخصى من الأرض... ولكن.. لا أحد يعلم بمكان الأموال التى جمعتها ولا بالبيت الذى اشتريته.. فإذا مت هل يضيع كل هذا هدراً؟!.. لا .. يجب أن أذهب لأمى واعترف لها بالحقيقة .. ننتقل أنا وهى وأختى للعيش فى شقتى الجديدة .. ولكن أمى بالذات هى آخر من يمكن أن أصارحه بهذه الحقيقة ..لا .. لن تتحمل صدمتها فى ابنها «الحيلة» .. فهى تحيا بعد وفاة أبى على أملين وحيدين لها فى الدنيا ، أن تُزَوِج أختى التى بلغت الثلاثين ولم تُخطب بعد»، وأن أتم أنا شهادة (الهندزة) كما تسميها هى، وكما أحب أن أسميها أنا أيضا فهكذا تنطقها أمى.

يراودنى كثيرا حلما بأنى ميت .. وأن هذا هو يوم الحساب وأرى نفسى واقفاً على الأعراف.. أُطل على أهل الجنة ولا أجرؤ على الدخول معهم، وأُطل على أهل النار وأخشى من الوقوع فيهم... وعلى قدر ما يؤلمنى هذا الوضع فى الحلم .... إلا أن حياتى تؤلمنى أكثر ... أعراف الدنيا تؤلمنى وتزعجنى أكثر من أعراف الآخرة .. فأنا أعرف أن فى الآخرة هناك رحمة ربى التى ستأخذ هذا القرار نيابة عنا ... أما فى الدنيا فنحن مطالبون بأن نختار وضعنا بأنفسنا.. ولكننى عاجز.. وسأظل واقفا هنا على هذه الأعراف حتى تدركنى رحمة ربى فى الدنيا أيضاً.. لن أفعل شيئا... سأترك مصيرى للأيام للصدفة للقدر .. أياً كان الاسم الذى نختاره ليد الله .. سأتركها هى لتحدد لى مصيرى.

## السوفليه

صغيرة هى كقالبها.. لا تحتوى سوى على بعض المارينج الهش ولم تأخذ وقتا للنضج .. فقط بضع دقائق بسيطة وكانت جاهزة، حلوة، وشهية مثل أيام برائتنا جميعا.

## لولو

لا تسألونى ما اسمه حبيبى ... صحيح أنى تلقيت ضربا مبرحا كثيرا حتى انطق باسمه ... و حُرمت من كل ما يمكن أن تسميه ملذات الحياة لفتاة فى مثل سنى .. فلا خروج مع الأصدقاء .. ولا هواتف .. ولا مصروف يومى .. حتى الشباك! ..أغلقه والدى بأقفال حديدية قال لى أنه لن يرفعهما إلا إذا رفعت أنا الأقفال التى أغلق بها فمى...

أمى اتبعت معى أسلوبا آخر .. أغرتنى بكل ما تملك من فساتين جديدة ..مجوهراتها التى لم تكن تسمح لى بلمسها.. كلها تحت أمرى .. فقط بشرط أن أقول لها من هو ما اسمه...

فى البداية كان تمسكى بموقفى من واقع الدفاع عن مبدأ خطير يخُصَنى .. وهو؛ كيف يسمحا لنفسيهما بتفتيش حجرتى و العبث فى أوراقى وقراءة مذكراتى دون إذنى.. حاولت الاستناد لهذه النقطة فى دفاعى .. إلا أن صفعة واحدة من والدى على وجهى كانت كفيلة بطردى كمحامية عن نفسى من قاعة المحكمة ..»قولى لنا من» ..»قولى وإحنا هنسامحك» ..»طب أوعدك مش هأذيه» .. «أنا هاكلمه بالعقل» .. « لو بيحبك يا لولو لازم ييجى ويتقدملك»...

لماذا هذا الإصرار؟.. ألا يحق لى كفتاة _قد كبرت_ أن احتفظ ببعض الأسرار لنفسى .. لماذا لا يفهمون أنى نضجت.. أهلى أمام إصرارى يأسوا

منى .. تركونى على أمل أن تُجدِى مراقبتى اليومية، وتصل بهم إلى ما لم تصل إليه الطرق الأخرى .. ولكن هيهات .. أبعد كل ما حدث يأملون أنى سأعود للقائه هكذا بسرعة .. وأُعرضه للخطر بهذه السهولة؟! .. مستحيل.. ثم إن آثار الضرب قد أضاعت ملامحى ولن يكون سعيدا برؤيتى بهذا الشكل..على الأقل فلأنتظر حتى أستعيد جمالى مرة أخرى ...

الحياة بلا سر خاص تبدو كقطعة الجريب فروت.. مجرد فاكهة حمضية.. طعمها يكاد يصل فمك قبل أن تلمسها حتى .. مُرّة .. أما مع الأسرار .. تبدو حياتك كالبطيخة .. تظل تتسائل طوال طريق عودتك بها للبيت .. حمراء أم بيضاء؟! .. وبعدما تصل إلى بيتك وتفتحها بسكينك لتكتشف أنها حمراء .. يظل التساؤل عن طعمها .. هل ستحمل من السكر ما يبرر حُمرتها ويزيدها دلالة على حلاوة الطعم .. أم أن هذا اللون الخادع كان يُخفى وراءه عطبا مستترا تحت قشرتها القاسية ..هذا التساؤل عن طعمها لا ينتهى حتى تضعها فى فمك وتحكم عليها بأسنانك.. تحتاج لأن تمضغها بنفسك حتى تكتشف طعمها الحقيقى.. هكذا تغلف الأسرار حياتنا بغموضٍ لذيييييذا!...

وهكذا بدأت حكايتى مع كتابة مذكراتى الشخصية .. أردت أن احتفظ بكل غريب وطريف .. وبكل حزين وسعيد مَرّ فى حياتى .. كتبت عن حفلات عيد ميلادى وعن عودة ماما وبابا من الحج .. وكتبت عن يوم وفاة عمى _رحمه الله_.. وعن نتيجة الإعدادية التى لم تكن تسر عدو أو حبيب... غير أنى توقفت أمام أى غامض أو مثير لأكتبه ..فلم أجد.. أحسست فجأة أنى فتحت بطيخة حياتى فوجدتها بيضاء .. وهكذا انتهى الأمر.. لا مجال للتذوق أو التساؤل عن طعمها.. فقد بانت من لونها...

ومن هنا أيضا بدأت حكايتى معه..

هو؟! .. تلك الحمرة التى كست مذكراتى.. هو ؟!..ذلك المذاق الساحر الذى اكتسبته أيامى بعدما عرفته.. اكذب إن قلت انه جعلها «بطيخة مِسَكَّرة» ..فانا لم أذق بعد..مازلت فى الطريق.. أحمله فى يدى وأحمل فى قلبى ذلك التساؤل الذى حلمت طويلا بأن أحمله .. «يا ترى بيحبنى؟!».. كل ما بيننا مجرد نظرات.. لم ندخل بعد أى مراحل جديدة فى علاقتنا.. ما زال أمامنا السلام و الكلام و اللقاء.. ثم تبدأ حكايتنا الحقيقية معا ..

ليس أحد الجيران كما توقع أبى .. فجميعهم يعرفون مقدماً عقوبة الاقتراب أو حتى السلام على ابنة حسين البُلك.. لا أكذب إذا قلت لكم أنى استطيع أن أسير عارية فى شارعنا وأنا أضمن مئة فى المئة أن لا أحد ستواتيه الجرأة ليرفع نظره فىّ..

هذا الحصار الذى طال كل أقاربنا ومعارفنا .. جعلنى أتعلق به أكثر فهو فرصتى الوحيدة لأعرف.. وأملى الوحيد لأجرب .. خاصة بعد أن اكتشفت أن مشاعرى نحو «مستر على « ليست هى ما أبحث عنه.. فقد كنت أتصوره حبى الحقيقى .. ويوم قررت المدرسة نقله لما أحدثه من فتنة بين فتيات المدرسة كان بالنسبة لى يوما لم تظهر له شمس .. كنت أخشى على نفسى من صدمة فراقه، تصورت أن غيابه عنى سيجعل نبضات قلبى تتوقف وسأموت .. ليس مجازا.. كنت أصدق فعلا أنى سأموت حقا إذا فارقنى .. غير أن هذا لم يحدث .. رحل «مستر على» وجاء « مستر عبد الرحمن» مكانه .. ولم أمت .. بل وجدتنى أشعر نحوه بنفس المشاعر التى كنت أشعر بها نحو «مستر على» .. والغريب أنى بدأت أشعر أيضا أنه لو غاب عنى سأموت .. ولأنى لست مجرد فتاة مراهقة تبحث عن الحب بأى شكل و السلام ، فقد قررت أن افتعل المرض لأتغيب عن المدرسة أسبوع ، ولما لم أمت .. فقد عرفت أن ما نشعر به نحن طالبات المدارس الثانوية نحو

أساتذتهم هى تلك التى يطلقون عليها مشاعر المراهقة.. مثل تلك التى نشعر بها نحو نجوم السينما والمطربين... وقررت بعدها ألا أسمح لقلبى أن يدق نحو أى مدرس حتى ولو كان فى وسامة «مستر عبد الرحمن «.. و الغريب أن قلبى قد استجاب!!.. وكان هذا دليلا لى على أن مشاعرى نحو حبيبى مشاعر حقيقية فهو ليس مدرس عندى فى المدرسة .. كما أنه ليس مطربا ولا نجما سينمائيا..

من هو إذا .. حتى أنتم ؟!!!! ألم أقل لكم لا تسألونى ما اسمه حبيبى.

## كعكة التمر

نضع معجون التمر بكل ما يحمله من سمات الصبر فى كوب من الماء المغلى بشدة ليخرج لنا هذا القالب غير المتداول بيننا.. لا يهمها فقد اختارت أن تكون هذه هى وصفتها وهذا هو القالب الخاص جدا بها.

## السيدة / عطا

و الآن .. ماذا .. انتهى كل شئ؟! هل أنت جاد؟! .. قل لى أن سنواتى التى عشتها معك لم تضع هدراً.. فأنا قضيتها معك لحظة بلحظة .. لكل لحظة منها قوة جيش قاهر استطاعت بها احتلا مكانا خاصا فى قلبى لا ينازعها فيه أحد .. أتدرى ما معنى هذا؟ .. أى أن قلبى أصبح مقسماً إلى ملايين الجزر المنعزلة .. تحتل كل كلمة قلتها لك أو سمعتها منك جزيرة منه .. إن قلبى مدينة وقعت تحت قبضة حُبى لك .. أتعلم ماذا فعلت الأيام التى مرت على مدينة قلبى وهى تحت أسرك؟ .. لقد صَبغتها بلونك.. سلبتها ثقافتها الخاصة ولغتها الخاصة وزيها الخاص .. جعلتها مدينة ترفع علمك أنت وترتدى ملامحك وتتحدث بعباراتك..

هل أنت جاد؟! ألن افتح بابى ثانية لأجدك داخلاً علينا، ابتسامتك تسبق خطوة قدمك .. أحمل عنك ما تحمله يداك .. وتحمل عنى ما يئن به قلبى من همى وهمك وهم أطفالنا .. أطفالنا؟! ..لا تقل لى أنك ستحرمهم هم أيضا من رؤيتك .. ألن يستيقظوا مرة أخرى على رنين صوتك يحثهم على النهوض و الذهاب لمدارسهم؟!...

لا .. هذا كثير .. أتوسل إليك أن تأتينى وتأتيهم ولو حلما...

يا إلهى .. هل أصابنى الجنون؟! .. لقد مات .. ولم يعد ممكنا أن يحدث شئ من هذا.. ثم كيف أناديه الآن وأنا التى قتلته.. لم أقتله حقيقة

.. ولكنى قتلته بداخلى.. قطعت الجزء الخاص به من كل صورنا معاً .. أعطيت ملابسه لبعض الفقراء.. تخلصت من السيارة التى كانت تجمعنا واشتريت سيارة جديدة حتى لا يذكرنى مقعده الخالى بجوارى بوجوده، وبكم كان يخشى القيادة فأتولاها أنا عنه..حذفت أكلاته المفضلة من قائمة طعامنا، ولأنه كان يحب الطعام الذى أطبخه له بيدى .. توقفت تماما عن الطبخ وأحضرت خادمة.. استبدلت ألوان ملابسى الغامقة التى كان يحبها بملابس ينتقدنى أهل الحى لسطوع ألوانها..

قولوا له هو إذا أن عمرنا لم يعد يحتمل ألوان الشباب الزاهية .. ما من أحد عابه عندما تزوج .. ورمونى أنا بكل العيوب عندما قررت أن أخلع ثوب الزوجة المغلوبة على أمرها .. هل كانوا يريدون منى اتبع عاداتهم و أدفن ما تبقى لى من عمر فى تراب خطواته التى أخذته بعيداً عنى..

أو لا يكفينى أنى ...

آاه .. يا إلهى .. عدت إلى الكلمات الغاضبة مرة أخرى ...

حسنا .. سأهدأ .. فلنبدأ من جديد

ما أنا إلا زوجة تركها زوجها و «مات» .. نعم مات .. لم يخونها .. ولم يتزوج بغيرها .. لم يقذف بها وأطفالها _ ليلحق بالقطار المغادر آخر محطات العُمر _ فى أقرب سلة مهملات وجدها أمامه فى المحطة .. مثلما نفعل بعد انتهاء الرحلة فى تذكرة السفر، وبقايا الطعام وعلبة الحلوى التى اصطحبناها معنا لتعيننا على مشقة الطريق.

لا تقولوا لى أنه حى .. لقد مات .. وهكذا فقط يظل حياً عندى .. فموته يخلصه من عيوب البشر .. يرحمه ويرحمنى من لعنة غدره بى .. فلا حلول وسط بين الحياة والموت .. والحياة هى أن نحيا لنحب وتنخلص .. أما

الكراهية و الخيانة و الخداع.. وحياة العصفور الذى يُغرد فوق كل شجرة قليلا ليتركها لغيرها فهى ليست بحياة .. تلك النحلة التى تمضى بين الزهور لتستنزف رحيقها الغالى ثم تمضى دون أى شعور بالذنب؛ مصيرها الوحيد هو الموت بعد أن تغرق فى عسلها المزعوم، والذى لا يكون لها فى النهاية وإنما لتلك المرأة الخبيثة التى جاءت ببرود حسناوات هذا الزمن الغارق فى كل مشاكل المادة التى عاشها الإنسان منذ بدء خلقه لتحصد ثمرة غرسى وغرسه .. جاءت بقوة بدن وحماقة عقل فتاة فى العشرينيات لتضغط على ضعفٍ وتتنكر لحكمة خلفتهما سنين وسنين من التعب و العمل وحمل الهم من الصباح حتى المساء...

أفلا يجعله كل هذا رجل ميت؟!...

لماذا لامونى أهله إذا عندما أخذت أمواله وممتلكاته التى كانت تحت سيطرتى وحولتها لاسمى .. أليست هذه الأموال فى حكم التركة الآن؟.. ألست أنا وريثته الشرعية؟..

لماذا يعتبروننى مخطئة عندما أعطيت سر صفقاته الأخيرة لابن عمى .. أليس هو الأحق بها من الأغراب بعد وفاة زوجى...

وهذا الرجل الغريب الذى يلحون على لاسمح له بزيارة أبنائى ليراهم.. لماذا يراهم؟ لقد مات أبوهم.. ولا حق لأى شخص آخر لدى ليطلبه .. ما هذه الطريقة التى اتبعها؟! إنها طريقتى أنا.... لقد انصهرت مرات ومرات كدت احترق من هول ما أصابنى، ولكنى نضجت وعرفت أنه علي أن أبقى حية بخير لأجل أبنائى ولأجلى أنا أيضا .. وهذه هى طريقتى للبقاء.. وسأتمسك بها حتى وان لم يفهمها أولئك الذين يطالبوننى بالوفاء لما كان بيننا يوما.. إنها طريقتى فى الوفاء.. للوفاء ألف طريقة.. أسهلها الاحتفاظ بالذكريات المشتركة.. وهى فى حالتى طريقة غير مجدية .. فانا إذا

استحضرت فى ذهنى ما كان لى فيه فسيأتينى فقط ليقول لى أنه صار لامرأة أخرى .. ستغيظنى ضحكاته لأنها لم تعد على دعاباتى، كما ستغيظنى دموعه التى لم تعد تنزل حزناً على آلامى وآهاتى..

ومن هنا كانت طريقتى فى الوفاء هى ألا أحتفظ بأى شئ يربطنى به ... وحتى تبقى صورته ناصعه فى ذهنى كان يجب أن تكون مجرد صورة باهتة لماضٍ بعيد.. رجل عرفته.. شاركته لحظات عشناها فى زمان كان يدخل علىّ فيه بابتسامة تسبق خطواته لأحمل عنه ما تحمله يداه ويحمل عنى همى وهمه وهم أطفالنا.. ولكنه مات .. لم تدم به الحياة ليرى أطفالنا وقد كبروا .. خطفه « الموت « لا «امرأه أخرى».. هكذا تبدو الحقيقة أفضل، وهكذا يكون الأمر أكثر وضوحا للعقل وأقل قسوة على القلب...

وهكذا بذكرياتنا الحلوة القليلة الباقية غلّفت مرارة العيش بعده.

## الجلاسيه

أشكال زائفة مصنوعة من عجين السكر لتخفى تحتها الكعكة الحقيقية.. ربما كان المذاق المخفى لذيذا وربما كان سيئا.. ليس بإمكاننا أن نعرف ذلك إلا بإزالة هذه الطبقة تماما.

## أمل

أملا واحدا عاشت عمرها كله فيه .. بذلت كل ما فى وسعها و ما ليس فى وسعها حتى تصل إليه.. استعانت بالسحر و الدجل و الشعوذة من أجل أن تأتى به إليها طالبا يدها أو حتى تلفت نظره .. أحبت ما يحب وكرهت ما يكره حتى تكسب رضاه .. كانت الكلمة تخرج من بين شفتيه أمراً واجب التنفيذ بالنسبة لها .. قال لها ذات يوم أنا أحب البنت العصرية التى تفهم فى السياسة و الموضة ..ارتدت الجينز و التى شيرت وتسمّرت أمام شاشات القنوات الإخبارية بالساعات فى محاولة لالتقاط كلمة من هنا أو هناك حول آخر مستجدات الأحداث لتبهره بها عندما يأتى فى المرة القادمة . هو ليس غريبا عنها .. ابن خالتها .. ولهذا تتكرر زياراته لهم .. وكذلك بحكم صداقته بأخيها .. تواجه دائما صعوبة كبيرة فى كسب رضائه ومع ذلك لا تمل من المحاولة وما أن تشعر بأنها على وشك أن تنجح فى إبهاره بالمظهر العصرى الذى أراده منها فى المرة السابقة حتى يفاجئها فى زياراته التالية بقوله : أنه قد يعجب فعلا بالبنت العصرية و لكن عندما يتزوج فسيختار فتاة تقليدية جدا (تماما كأمى ) .. وقبل أن يُكمل كوب الشاى الذى تعده له دائما .. كانت قد دخلت إلى غرفتها .. بدلت ثيابها .. وارتدت جلباب فضفاض _ تماما كأمهات زمان _ وعادت لتجلس بجوار أبيها و أخيها فى استكانة شديدة نظرها للأرض .. تجبر نفسها على مشاهدة مباراة كرة القدم معهم لتستمتع بدقائق زيادة بقربه.. وتقاوم كل رغباتها فى النظر إليه ومشاركته الحديث.

الجميع يلاحظ .. بدءا من أبيها وأخيها وأمها وحتى خالتها .. مشاعرها نحوه كانت فى وضوح وثبات جدران البيت الذى شهد قصة حبها له منذ بدأ عقلها يعرف كيف يصيغ قصة و منذ عرف قلبها كيف يفرز مشاعر. لا يبق غير أن يتحقق لها ما تحلم به و يشعر هو.

ولهذا كانت الصدمة ذات وقع شديد على الجميع عندما تقدم لها ورفضته .. كان الجميع يشك فى أن يأتى اليوم الذى يعلن فيه رغبته فى الزواج بها .. فقد كان دائما يرسم ملامح محايدة على وجهه كلما رآها.. تفسرها أمها بأدبه الشديد _ فلا يصح أن يرفع وجهه فى بنت خالته وفى بيتها_ ويفسر أبيها و أخيها _ العارفين بطباع الرجال وأسرارهم_ بأنه لا يحبها من الأساس..

هذا الشك الذى قطعه تقدمه لخطبتها .. تنفس الجميع الصعداء عندما قالها فقد كانوا يخشون عليها من صدمة ألا يأتى هذا اليوم ..

ولكن سرعان ما عادت الأنفاس لتحتبس داخل صدورهم جميعا عندما وجدوها قادمة كالإعصار من غرفتها لتحول بين أمها وصينية الشربات فى يدها من جهة وبين يد ابن خالتها _ العريس _ الذى كان يهم بتناول كوبه ..

بس أنا مش موافقة..

تسمروا جميعا عند اللحظة حتى أن أحداً لم يسعفه لسانه ليسألها لماذا .. ولم تقدم هى تفسيراً .. قالت جملتها و انطلقت بنفس السرعة إلى غرفتها، أغلقت بابها عليها ورفضت تماما الحديث فى الموضوع مع أى شخص ..

تلك التى كانت تملأ البيت بكاء وعصبية إذا ما تخلف عن زيارتهم فى

موعده

لم تبك .. بل وبدا عليها ارتياحا غريبا لمن حولها و لكن بالنسبة لها كان ارتياح حقيقى .. فلأول مرة لم تعد مضطرة لتحمل مرارة الشاى _ بدون سكر _ بل وانتقاما من السنوات الماضية اصبحت تضع فى كوب الشاى الواحد أكثر من خمس ملاعق .. تمضى الآن وقت أقل فى التسوق فهى ليست مضطرة بعد للتفكير فى ما إذا كان ما ستشتريه سيعجبه أم لا .. فقط تشترى ما يعجبها .. هكذا ببساطة .. لم تكن تدرى من قبل كم أن الحياة سهلة ولذيذه .. لم يعد ذلك المشوار البسيط لشقة خالتها التى تسكن فى الطابق الأسفل يكلفها تلك الساعات الطويلة أمام المرآه ..

لا شئ يعكر عليها صفو حياتها الآن سوى مرارة الحزن على السنوات الخمس عشر التى أمضتها فى انتظاره .. منذ كان عمرها ٨ سنوات وهى ترتدى قناع الدمية المفضله له .. ذلك القناع الذى ظل يكتم أنفاسها و يطمس شخصيتها حتى لم تعد تتعرف على شخصيتها الحقيقية .. لا ترى فى الحياة غيره، ولا تسمح لغيره _ على كثرة المعجبين بها _ أن يزورها حتى فى أحلام يقظتها .. درست نفس التخصص الذى كان يدرسه، وكانت تنوى أن تعمل أيضا فى نفس المجال الذى يعمل به، عرض عليها بالفعل أحد أصدقاء والدها وظيفة بمرتب مجزٍ فى نفس الشركة التى يعمل هو بها، طارت فرحا بالفرصة التى ستسمح لها أن تكون بجواره، ثم بدلت رأيها ورفضت .. فقط لأنها سمعته يقول يوما لا أوافق على عمل المرأة.. رفضت جميع من تقدموا لها وقد كان من بينهم من هو أفضل منه بكثير...

وحينما جاء فى المرة الاخيرة مع والده طالباً يدها ارتدت الفستان الذى مدحه عليها ذات يوم، وضعت خليطا من ألوان الزينة يناسب ذوقه، ارتدت حذاء عاليا، وأرسلت شعرها للأمام كما يحب ..

«لحظة واحدة وأكون جاهزة» هكذا ردت على نداء أمها لتخرج لتقدم لهم «الشربات» .. لحظة واحدة اتجهت فيها نحو مرآتها للتأكد أن كل شئ على ما يرام.. التوت قدمها بفعل الحذاء.. استعادت توازنها فاهتزت قدميها مرة أخرى ليس بفعل الحذاء الذى لم تستطع أن تتقن أبداً السير فيه، وإنما هالها ما رأت. . لم تر نفسها قبيحة هكذا من قبل.. ألوان ماكياجها غير متناسقة نهائيا مع لون الفستان، تسريحة شعرها تكاد تخفى ملامح وجهها كما تخفى قصة الفستان العلوية .. هنا فى المرآة انسانة لا يمكن أن يميزها أحد.. فلا هى تبدو فتاة كلاسيكية بهذا الفستان و الحذاء العال.. ولا هى عصرية بالتسريحة المودرن و ألوان الماكياج الجريئة .. مجرد مزيج من خياراته المفضلة أو ما تظنه هى خياراته المفضله .. كان لابد أن ترفض حتى تعرف نفسها وحتى تنقذ أيامها القادمة . لقد تحولت إلى « مسخ» عندما جمعت ما يعجبه فيها.

ومن جديد عادت تنظر للمرآة وتسأل إن عينيها جميلتان .. لماذا كان يقول لها دائما أن تسدل شعرها للأمام .. لماذا لم يطلب منها أبداً أن ترفعه حتى يرى عينيها .. لماذا لم يلاحظ يوماً جمال رقبتها .. كما أنها طويلة بما يكفى وليست بحاجة لهذا الحذاء..

أمامها احتمالين لا ثالث لهما ، إما أنه شخص ذو ذوق ردئ فى المرأة التى يحبها وفى هذه الحالة فهو ليس جديراً بها .. واما أن هذه التى تراها أمامها فى المرآه ليست هو المرأة التى يحبها ..هذا المسخ ما هو المرأه التى سيتزوجها .. تقبلت الاحتمالان و ارتاحت للثانى بشكل أكبر .. فألف دليل ودليل كانوفى انتظار هذه اللحظة ليتدافعوا من عقلها وقلبها ومن كل تصرفاته السابقة معها ليؤكدوا لها ذلك .. فقط عاتبتهم لأنهم لم يخبروها بذلك من قبل.. ثم سامحت عقلها وقلبها معا فهى التى لم تكن ترى ولا تسمع .. تذكرت كلام خالتها بالأمس عندما أتت لتصارح والدتها برغبتها

فى أن تخطبها له .. بنتنا .. مش غريبة .. أنا اللى مربياها .. ليس هنالك كلمة واحدة عنه هو أو عن مشاعره تجاهها .. ثم تذكرته معها وكيف كان يؤدى واجب امتداحها كيفما اتفق مرة يمتدح الملابس التى ترتديها وفى مرة ثانية ينتقدها نفسها.. كان ينطق كلامه الحلو القليل لها فقط فى وجود أمه بعد أن تتولى تذكيره بأن عليه أن يقو ل لها «كلمتين حلوين»

لقد قضيت العمر أصبغ نفسى بلون رجل باهت لا لون له!!! .. لم تكن هذه الصدمة الوحيدة التى شعرت بها لحظتها.. الصدمة الأكبر والتى دفعتها حقا لاتخاذ قرارها هى أن عليها الآن بما أنها ستصبح زوجته أن تمضى إلى آخر العمر بنفس ذات اللون الباهت.. نظرت فى المرآه وضايقها ليس أن هذا هو مظهرها الآن و لكن أن هذا هو مظهرها الذى عليها أن تكون عليه من الآن .. وهكذا لملمت خصلات شعرها وربطتها وراء ظهرها.. مسحت زينتها وخلعت الحذاء وارتدت آخرا مريحا وخرجت لتقول للجميع « أنا مش موافقة».

## الفطير المشلتت

ليس هنالك وصفة أسهل فى مكوناته منه.. فقط «دقيق وماء»... ومع ذلك فالأمر يلزمه كثير من عجن الحياة تارة وطبطبتها تارة أخرى إلى أن يأتى دور تلك الإضافة الثرية غير المنتظرة ... قطع الزُبد التى تذوب بين طياته لتجعل منه فجأة سيد المائدة وعنوان وجاهتها.

## أولاد عويس

هل يعقل هذا؟!!. كان ما حدث أكبر من أن تستوعبه عقولنا الصغيرة.. بلحظة واحدة تغير كل شئ... أصبحنا أغنياااااء.

نحن سبعة إخوة جميعنا «غير متعلمون»، أرسلنا والدنا إلى المدرسة يوما من باب إرضاء الضمير _ وكان والدنا حقا رجل ذو ضمير يقظ _ رحلة يومية شاقة من منزلنا المتواضع للمدرسة البعيدة نسبيا.. بدون كراسات.. بدون أقلام.. وبدون زى مدرسى كنا نذهب.. لم نتعلم شيئا يُذكر.. غير أن مشقة الرحلة صهرتنا جميعا فى كيان واحد .. فلم يعد أيا منا يحمل اسما منفردا .. أصبح اسمنا معا «أولاد عويس» .. ونحن سعداء بذلك.. فهذا الرجل الطيب الذكر دائما ما كان اسمه أحب إلى الجميع من أى اسم آخر قد يحمله أحدنا.. نسى الناس أسمائنا، ونسيناها نحن أيضا.. فصار كل منا يُعرّف نفسه للآخرين بـ «ابن عويس» ونُعرّف أنفسنا معا مجتمعين بأننا «أولاد عويس».

لم نتجاوز الصف الثالث الابتدائى .. استيقظنا ذات صباح واتخذنا معا قرارا جماعيا « لا مدرسة بعد اليوم».. «مش عاوزين نروحها تانى.. المشوار بعيد ومبنستفدش حاجة».. هكذا ردد كل منا كلمته فى الجملة كما لو كان نصا مسرحيا وزعت أدواره علينا بالتساوى..

وبقلبها الحنون أعادتنا أمى إلى نومنا.

ربما لهذا قلت أن عقولنا صغيرة، رغم تجاوزنا الصغر.. إلا أن أى منا لا يتمتع بقدرات من نوع خاص ليس بيننا ذكيا أو موهوبا أو فنانا أو رياضيا.. لا يتمتع أيا منا بمهارات خاصة.. ويظن البعض أننا نفتقر حتى لبعض القدرات الذهنية العادية للبشر.. نمتهن جميعا مهنة واحدة ، كانت هى الأنسب لنا فهى لا تتطلب أى ذكاء أو دقة أو كما نقول بلغتنا ( ليس بها أى حرفنه). جميعنا نعمل فى توصيل الطلبات للمنازل فى سلسة محلات سوبر ماركت شهير يُطلق عليه عملائه _ الراضون دائما عن خدماتنا_ «سوبر ماركت أولاد عويس».

وهذا لا يمنحنا أى شعور بالفخر، بالعكس يجلب علينا المزيد من عصبية أصحاب السوبر ماركت الذين يستفزهم تجاهل الناس لاسم أبيهم المكتوب بالخط العريض على أبواب المحلات الكثيرة التى تركها لهم وليس لنا _ كما يقولون لنا دائما _

لم يترك لنا أبينا شيئا.. نعلم ذلك فقد كان رجلا فقيرا

لماذا نولد لآباء فقراء؟! إن أول حقيقة يجب على أى طفل أن يتعلمها هى إذا ما كان ولد لأسرة فقيرة أو غنية.. وبناء على هذه الحقيقة يستطيع أن يفهم ـ بدون أدنى جهد ـ لماذا حدث كل شئ آخر فى حياته..

عن نفسى لم احتج لأن أسأل عن وضع أسرتى .. فأنا آخر العنقود، وعلى عكس ما يزعم الكثيرون لم أكن أبدا مدللا .. فقد جئت إلى الدنيا بعد ستة أشقاء ذكور لأجد اخوتى الأكبر قد استنزفوا القليل الذى كانت تملكه هذه الأسرة.. حتى لبن أمى لم أجده.. أنجبتنى أمى بعد أن تجاوزت الأربعين من عمرها.. وبعد عشر ولادات سابقة، أربعة اختارتهم رحمة الله .. وستة عاشوا ليمتصوا كل نقطة عرق فى جبينها.

وهكذا.. عندما وجدت أمى تضطرنى لأرضع خليط «الماء بالسكر» بدلا من اللبن .. عرفت مبكرا أنى قد ولدت فى أسرة تعيش تحت مستوى خط الفقر .. وبمراحل.

إورغم ذلك كانت أمى وللحق لديها من الحنان ما يكفى شعبا كاملا وليس مجرد سبعة أبناء..

والدى أيضا كان رجلا عظيما.. أعطانا رقة قلبه، وتدينه الشديد، وإخلاصه فى العمل دون أن ينطق بكلمة.. لم يكن أبى يوما كثير الكلام.. ألحقنا جميعا بـ «حلقة المسجد» المجاور لمنزلنا فى محاولة أخيرة منه لنتعلم أى شئ، فلتنالنا بركة حفظ بعض القرآن على الأقل.

لا أعلم لماذا كان يُصر والدى على خوض مغامرة «تعليم أبنائه» رغم علمه أنه مجرد «صبى نجار» لا يملك ما يستطيع أن يدفعنا به فى رحلة شاقة كهذه على أمثاله..وفى النهاية استسلم والدى.

وكان الحل الأوحد .

هو أن نذهب للعمل معه بـ «ورشته» أو بمعنى أصح ورشة المعلم حسين و التى قضى والدى عمره كله وهو يعم بها حتى أصبح يعتبرها ورشته هو شخصيا.. كان دائما ما يحتفظ بالأشياء الهامة التى تخصه «عنده فى ورشته»، وإذا ما طلبه أحدهمفى موضوع هام فحتما سيقول له «تعالالى الورشة بتاعتى»..

ورغم أن أبى كان يستيقظ مع آذان الفجر ليكون أول من يصل إلى الورشة.. كما كان آخر من يغادرها ورغم تفانيه وإخلاصه الشديدين للمعلم حسين، إلا أنه لم يرفعه أبدا عن مرتبة «الصبى» كما لم يتقبل بصدر رحب قبيلة «أولاد عويس» وهى تلتهم المكان بحضورها الطاغى الغير مفهوم

أبدا..

كان حريصا بشكل غريب على ألا يلتقط أى منا سر المهنة , وكان يتعمد اشعارنا بالفشل.. وبهدوء تسربنا من العمل كما فعلنا فى المدرسة .. استيقظنا ذات صباح وقلنا لأبى «مش عاوزين نروح تانى.. بنتعب أوى ومش بنستفاد حاجة».

انتقلنا جميعا للعمل بالسوبر ماركت.. وللحق هذه هى المهنة التى كنا نبحث عنها.. ووجدنا أنفسنا نتميز فى هذا العمل.. فقد كنا الأسرع فى تلقى الطلبات الجديدة، والأسرع فى توصيلها،والأسرع فى العودة إلى المحل لتلقى الطلبات الجديدة.. استغنى صاحب السوبر ماركت عن باقى طاقم التوصيل وأصبحنا المسئول الرسمى عن توصيل الطلبات لدى زبائن السوبر ماركت بتاعنا، ولهذا أيضا وهو أننا صرنا نقلد والدنا ونقول «السوبر ماركت بتاعنا» صرنا نلقى من أصحاب السوبر ماركت المعاملة ذاتها التى كان يلقاها والدنا من المعلم حسين .. لم نحصل يوما على مكافأة من أى نوع .. لم نتلق حتى كلمة طيبة من باب التشجيع.. ورغم ذلك كنا أشد إخلاصا للسوبر ماركت «بتاعنا» من إخلاص أبى «لورشته»...

وفى لحظة لم نكن نتخيل أهداها لنا القدر، فما حدث أكبر من أن تخطط له عقولنا الصغيرة، نحن أضعف من أن نفكر أو نحلمه.

ورثنا... أصبحنا أغنياء

قصة أشبه بالأفلام

أحد أبناء عمومة والدى سافر منذ زمن بعيد لإحدى الدول التى لا نسمع عنها، وحقق هناك ثروة هائلة، وكعادة القدر فى مصادفاته التقليدية تماما لم يكن له وريث إلا نحن..

شخص غريب زارنا فى يوم _ ظننا وقتها أنه لم تطلع له شمس _ .. فقد تسبب فى تعطيلنا لأول مرة نحن عن السوبر ماركت «بتاعنا»، .. ووالدى عن «ورشته».. غير أن الخبر الذى جاءنا حاملا إياه كان وحده شمسا جديدة أشرقت علينا وحدنا..

قال كلاما كثيرا حول السيد فلان (الذى لم نسمع جيدا ما اسمه .. لا يهم فلقبه فى النهاية «عويس» .. والأهم أنه ترك ثروة كبيرة ، وأنه وحيد بلا أبناء، وأننا الوحيدون من أهله الذين استطاع أن يصل إليهم.

لم نهتم كثيرا بالتأكد من صدق كلامه.. أو من مصدر الأموال

كل ما فكرنا به هو ما الذى يمكننا فعله بهذه الأموال «ورشة نجارة» ام «سوبر ماركت»؟!

لم نكن ندرى أن كرم هذا القريب غير المنتظر أكبر من كل تصوراتنا فقد كان المال يكفى للاثنين معا ويزيد.

المعلم حسين وأصحاب السوبر ماركت والذين ضاقت أحوالهم بعد أن تركنا العمل لديهم

يشيعون عنا أننا كنا نسرق منهم، وأن هذا هو «سر النعمة» التى هبطت علينا.. وأمى تقول لهم أن هذا كله بفضل بركة دعائها الذى لا يتوقف لنا..

أما أنا ووالدى واخوتى فنعتبرها مكافأه الله لنا على إخلاصنا فى أعمالنا والتى حرمنا إياها عباده..

لم نعد نستخدم كلمة «بتاعنا».. وإنما نكتفى إذا ما قدم أحدهم لنا مثلا دعوة لمناسبة _ وكثيرا ما يحدث.. فـ « أولاد عويس» مدعوون دائما فى أفراح وأتراح الحى _ غير أننا نضطر لأن نرفض وبشدة.. «ونسيب بتاع الناس! إزاى؟!»....

**بسكويت النشادر**

يبدو قاسيا من الخارج، لا يوحى اسمه بأية مرونة أو جاذبية.. إلا أن بداخله رغبة قوية للذوبان فى أيدى الجميع

**جدو راغب**

سنوات عمر طويلة عاشها... ربما أطول من شجرة الكافور تلك التى تقف أمام بيته، الذى ما عاد يقف أمامه غيرها.. لا أطفال يلعبون.. ولا كبار يلقون التحية.. تعرف سيدات الحى أنهن لن يجدن مبتغاهن فيه فيوفرن زياراتهن لبيت تؤوى جدرانه، أو صديقة تتحفهن بقصة مثيرة جديدة، أو حتى شابا يلقين عليه حبالهن فربما يصير خاطبا لإحدى البنات..أو حتى امرأة ضعيفة تشاركن إحساسهن فتمطرهن بدعواتها وبركاتها.. وكأن دعاء الرجل غير مستجاب!.

صب فنجان القهوة لنفسه.. «دون وجه» ..لا يهم.. فكم من وجوه مازالت تحتفظ بهيكلها الخارجى غير أنها صارت بلا ملامح.. من يصدق أن هذا العجوز ذو الأنف الكبير والشارب الضخم الذى لا يتناسب مع صلعة رأسه وجفاف بشرته كان شابا وسيما فى يوم من الأيام.. من يصدق أن هذا الظهر المحنى على كومة عظام تختبئ خلف جلباب لا يتغير إلا عندما لا يكون هناك مفر من ذلك، كان يوما عنوانا لفتوة صاحبه.. اقترب من الحائط حتى استطاعت عيناه شبه المغلقتين من تعب التركيز الشديد أن تلمح صورة ضبابية معلقة لشخصه الذى كان، نظرة واحدة لا أكثر ألقاها على الصورة، فقد ملّ التسمر أمامها، كما ملّ التجول فى المنزل الذى ما كان يهدأ ضجيجه غير بصرخة صوته خارجا عليهم من غرفة مكتبه يهز أركان البيت والحضور جميعه، لماذا كان يحاول إسكاتهم!!

فنجان القهوة صار مهددا بخطر الإنزلاق من بين يديه المرتعشة،

وبالإستناد إلى الحائط ومنه إلى حوائط مقابلة ثم إلى طاولات و كراسى لا يتغير مكانها استطاع من خلال خطة محكمة يكررها كل صباح أن يصل إلى باب البيت.. خرج عبر الباب المفتوح دائما.. أكمل رحلته حتى استراح على كنبته الخشبية المفروشة بقطعة سجاد ينطق تماسك خيوطها العتيقة وألوانها الزاهية رغم قدمها بقيمتها المادية، والتى مع ذلك لا يجرأ أحدا فى الحى على سرقتها.. جلس على سجادته الأثيرة.. أراح فنجان القهوة من يده.. وراح بلهفة يتلمس نعومة قطعة السجاد بيديه الاثنين.. وبذكريات أثارتها فيه.. تذكر تلك الخادمة الجاهلة التى أفسدت أثاثه الفاخر فى ليلة عيد بطريقتها التقليدية الحمقاء فى التنظيف .. جعلها تدفع ثمن خطأها.. لقد أمضت أيام العيد تعالج كسورها كما انه حرمها من باقى راتبها وطردها.. لولا تساهل زوجته مع الخادمات لكان مازال يحتفظ بمجموعة سجاده القيمة حتى الآن.. ولولا تساهلها أيضا مع أبنائه ما كانوا تجرأوا عليه و استفزوه حتى طردهم من البيت، وبدلا من أن تعيد هى إليهم صوابهم.. لحقت بهم.. ذهبوا جميعا بلا رجعة... تركوا له المنزل الكبير، والأثاث الفخم، والسجاد العتيق، ورحلوا

وفى النهاية عاش وحيدا بين تحفه القديمة وأنتيكاته تملأ عليه جدران البيت الخالى.. ومع كل سنة جديدة كان يأخذ منه الزمن قطعة، ويأخذ تاجر الأنتيكات من تحفه الحبيبة قطعه..عاش طويلا حتى أنه اضطر لبيع كل تُحَفِه لينفق على نفسه بعد أن أصبح عاجزا عن العمل، رفض أبناءه إرسال أى نقود إليه.. لم يبق إلا هذه السجادة.. ولأنه ما عاد يطلب النقود بعد أن قلت احتياجاته من الحياة لم يبعها.. ولأنه لا يحتاج الآن إلا لمن يشاركه جلسة الصباح وفنجان القهوة وضعها على هذه الكنبة الخشبية خارج البيت عسى أن تجذب إليه المارين يستريحوا عليها .. أو يستريح هو معهم.

ولكن تبا لها الخادمة الملعونة لم تترك بيتا من بيوت الجيران تدخله إلا وحكت فيه قصتها معه.. والآن فالجميع يخشاه ويخشى أكثر منه سجادته الثمينة .. حتى الأطفال الصغار من كثرة ما تلقوا من تحذيرات أهاليهم حرموه من متعة مشاهدتهم يلعبون أمامه.. كان يرى فيهم أحفاده الذين لا يعرف أشكالهم...

آآآآه حارقة انطلقت من صدره.. وانطلقت على إثرها يده لتمسك بفنجان القهوة الذى ظنه باردا...

ولأنه لم يعد يعرف كيف يحسب الزمن الذى يستغرقه تدافع الأفكار والذكريات فى عقله، ظن أن الوقت مر بما يكفى ليبرد فنجان القهوة، ولكن يبدو أنه ظل يمط فى ذكرياته، وتفاصيلها الدقيقة حتى صارت بعرض دماغه كله فأصبحت تمضى فى ذهنه بكل تفصيلاتها فى لمحة بصر.. فاجأته سخونة الفنجان وأربكت حركة يديه، لم تسعفه أعصابه الضعيفة المرهقة ليستعيد السيطرة عليه..

سقط الفنجان فجأة من يديه ليفرغ كل محتوياته من البن الغامق فوق سجادته الغالية.. لم تترك القهوة خيطا إلا و تسربت خلاله...

وعلى عكس ما كان يفعل دائما طوال عمره لم يغضب.. لم يثر.. لم يملأ الأرض بصراخه المعتاد، لم يصب غضبه على شئ.. لملم شظايا الفنجان المتناثرة على الأرض برفق .. وضعها فوق السجادة..جمع أطرافها معا وربطها حول الفنجان المكسور، ثم سار فى خطوات بطيئة حتى وصل إلى أقرب نقطة فى الطريق.. ألقى بالسجادة هامسا لنفسه» ربما حان الوقت للتخلص من كل شئ» .. وعاد بنفس الخطوات الثقيلة إلى المطبخ ليعد لنفسه فنجانا آخر.. جلس فى فراشه الناعم يستمتع بوحدته، وبهدوء أركان منزله الذى بدا كما لو كان يراه لأول مرة.. أحدثت القهوة فى جسمه

مفعولا سحريا.. يستطيع النوم الآن بعمق لم يعهده من قبل، كما تستطيع أذنه التقاط أصوات العصافير التى تعزف كل صباح ألحانها تماما فوق شباك غرفة نومه.. ولسبب ما صار منزله منذ ذلك اليوم الذى خسر فيه السجادة الأخيرة مأوى لكل حيوانات الشارع وطيوره، وملعبا لأطفال الحى كله، وملاذا لكل عابر سبيل.

## تشيز كيك

رغم كل التألق الذى يضفيه عليها مظهرها واسمها.. إلا أنها لم تفلح فى النهاية للمهمة المطلوبة ربما لأنها مصنوعة من البرودة ولم تذق دفء حرارة الفرن.. ولهذا لم نغفر لها أنها لم تخضع للأسلوب التقليدى لعمل الكعك.

## خالد

« خذوا كل شئ.. وأعيدو لى عباراتى القديمة وصورى القديمة ونفسى القديمة.. أعيدوا لي الذكريات..» كان يقرأ هذه السطور فى كتاب ويفكر.

كيف يصبح كل شئ غاليا هكذا بعد أن يمضى وكيف نصبح على استعداد لدفع كل شئ لاسترداده

نعلم جيد أن لا شئ يعود وربما لو كان هذا الاختيار متاح فى لوحة مفاتيح حياتنا لما استعملناه..لسنا جادين حقا حين نقول أننا سندفع كل شئ لاسترداد مجرد شئ واحد مضى

يعجبنى الرجل الرزين

حقا؟ ولهذا أعجبتك؟!

مهلا اسمعنى للنهاية لم أكمل جملتى بعد

يعجبنى الرجل الرزين عندما يسقط فى الحب

يشعرنى ذلك بعلو قدرى ويزيد من إحساسى بذاتى

أهاااا.. الأمر إذا يتعلق بغرورك وإرضاءه لا أكثر

ألا يرضيك أنت أيضا أن تتجاهل إحداهن كل من حولها وتنظر لك أنت.. أنت فقط.

بالتأكيد

ولكن من قال لك أنه قد فعل؟!

يجيد الرجال إخفاء حقيقية مشاعرهم وإقناعكن بأى شئ

أتعتقد هذا؟

بالتأكيد.. ( ضاحكا) لماذا إذن نراكن تصرخن بعد الزواج من الحقيقة المُرّة وقد تكشفت؟!

امممم أحبطتنى.. وأفقدتنى شاعرية اللحظة

عموما أنا جئت فقط لإبلاغك بأنى أعدت النظر فى مسألة ارتباطنا.. وداعا

وهل كنت المقصود؟!.. مهلا

تركته مسرعة عاقدة العزم على ألا تعود.. لا تدرى لأنه خيّب أملها فى أنه انتقاها بعناية شديدة وفضلها وحدها على نساء الأرض..أم لانكشافه أمامها كمجرد رجل بسيط .. صريح ومباشر لا يجيد قراءة الخريطة الهلامية للغوص فى أعماق النساء.. وهو ذاته النوع الذى لا ترضاه أبدا من الرجال.

لا أحب الكذب.. ولكن كنت أحب أن يكذب

كنت أتمنى لو يكذب

هنا فقط تحب النساء الكذب

اكذِّب وقل أننى أجمل إمرأة بالعالم

لست أجملهن..أعرف.. اكذب وقل إنك لم تحب غيرى.. وإنك ستضحى بحياتك من أجلى، وأنهم لو وضعو لك حبى فى كفة، والعالم لديك فى كفة لاخترت كفة حبى

اكذب حتى أوقع بيدى على دفتر امتلاكك لي..

ثم نستيقظ سويا فى الصباح لنغسل أيدينا من كل هذه الأكاذيب.. ونبدأ معا حياة عادية جدا كحياة ملايين البشر

أكذَبُ الأسماء خالد.. قالت له مازحة عندما عرفها بنفسه فى لقائهما الأول..

بل أعذب الأسماء خالد... سترين

وقد كان .. ليس أعذب على لسانها من ذكر اسمه تناديه بمناسبة وبدون مناسبة

بين كل كلمتين .. وقبل كل جملة أهلا خالد..وداعا يا خالد ..خالد هل تسمعنى؟.. خالد أرايت..أراك غدا يا خالد.

كيف غسلت فمها بهذه السرعة من اسمه؟! وكأنه حلما عابرا استيقظت ذات صباح غير عابئة حتى بتذكر تفاصيله.. ليست كل الأحلام تستحق التذكر.. البعض منها فقط يعلق بالقلب لا بالذاكرة، حين يمس فينا ذلك الوتر الحساس الفاصل بين أحلام المنام وأحلام اليقظة.. وحدها الأحلام العظيمة التى تربطنا بالمستحيل الذى لا تطاله أيدينا نتذكرها ونهتم بها

ونطلب من الله تحقيقها مهما كانت صعوبتها على أرض الواقع.

فنحن نحلم بالمستحيل حتى نصل إلى الممكن هكذا علمتنا الحياة..

يجب أن يكون الحلم دائما عريضا.. علاقة حب فريدة من نوعها.. قصة يفوق جمالها الأساطير

نحلم بتفاصيل لا نهائية عن كل يوم سنعيشه سويا حتى نصل لذلك اليوم الذى نجلس فيه وأسرتينا فى صالون البيت الضيق نتصبب عرقا جميعا من حرارة الجو، ومن تأثير الثياب المتكلفة التى نرتديها.

ثم يمر كل شئ بعدها بالشكل الروتينى الذى لم نتمناه .. وعلى عكس ما حلمنا به..

تخيلنا زفافا أسطوريا وليس «قاعة الجوهرة»... تخيلنا بيتا مضيئا بطاقة الحب لنفاجئ بغرف معتمة تطل على مناور عمارات متلاصقة تهدم أى مفهوم للخصوصية.

ثم شهر عسل نقضيه فى استقبال المهنئين، وجمع «نقوط الفرح» الذى سيساهم بشكل كبير فى تسوية بعض ديون الزواج.. ويوم بعد يوم يقترب وصول هذا الكائن المسكين الذى لا ذنبه له سوى ان عليه الان ان يعوضنا بعضا من كل هذا البؤس نتخيله جميلا كاطفال الاعلانات فيصدمنا هو الاخر بحمل ملامحنا التى ربما نراها لاول مرة عندما نجدها مطبوعه فى وجوه اولادنا

ليبدأ كل منا فى نفى تهمه ملامح المولود الجديد عنه.. فننسب أنفه الكبير لأحد أقارب الطرف الآخر من الدرجة الثالثة.

وهنا يبدو إصرار البعض على اختيار أسماء عجيبة لأبنائهم كما لو كان

هذا هو الجزء الوحيد الذى استطاعو كتابته فى القصة.

كما لو كانت أحلامنا كلها ستحقق بإطلاق اسم خرافى مكون من حروف هلامية تحمل معنى عجيب اخترعه أحدهم يوما ما ثم نسى ونسيت البشرية كلها استخدامه..

تعلم سارة هذا جيدا ولا تطمع فى علاقتها بخالد بأكثر من أن تتمكن يوما من البحث على جوجل لانتقاء اسما غريبا لم يستخدم من قبل لأبنائها.

ومع هذا كانت تصر وتصر على التصرف بعنجهية لا تليق بواقعهما.

تسير مزهوة لا تنظر خلفها عندما تلاحظ وجوده لتراه يجرى لاهثا خلفها ليلقى عليها تحية الصباح،

ترد على رسائله التى تنتظرها باقتضاب يناقض لهفتها عليه.

هو أيضا لطالما كان شخصا متحفظا وربما هذا ما جمعهما

رآها فتاة أحلامه التى ليس لها مثل.ورأت فيه ذلك الشاب الخلوق الذى لا يجود به الزمن

هى بداخلها تعلم أن كل هذا ما هو»إلا حركتين» لزوم إيقاعها.. وهو يعلم أن تمنُعها ما هو «إلا حركات بنات».

أغضبها انكشاف اللعبة قبل موعدها؟؟

كان يجب أن نحافظ على أقنعتنا حتى اليوم الموعود.. ليس مقبولا أن يقولها صراحة هكذا

كيف سنكمل مسرحيتنا الآن؟

لا يصدق خالد أنها رفضت الزواج منه لهذا السبب..

إنسانه تافهه خيرا فعلت.

هكذا برر ما حدث.. وأراح نفسه من عبء التفكير فيما حدث.

ضجة الأصوات الصادرة من شقتها المقابلة له تستفزه... تطلع خلسة من خلف الشباك ليراها كيف تبدو وهى فى ثوب الخطوبة.. لم تعجبه .. ولم يشعر بأى ندم ..

يكذب على نفسه ... ليس هناك حل الآن سوى الكذب.

تصفعه حقيقة إمكانية أن يكذب المرء ليحل أمرا ما.. يبدو كما لو اكتشف نظرية علمية «الكذب هو الحل الحلو الذى ينقذنا».. ماذا لو كان ذهب ليسترضيها فى اليوم التالى.. ليكذب عليها .. ليقنعها أنه كان يضحك معها لا أكثر.. ماذا لو كان أضاف كلمات قليلة لكذبته.. أنت الأجمل.. ليس هناك مثلك على الأرض..

كان يمكن أن يكون اليوم هو أسعد أيام حياته.. كان يمكن أن يكون هناك فى الشرفة الأخرى المقابلة.. مكان هذا الجالس أمامه بجوارها يتحدث معها سرا فى تفاصيل تافهة و كلام لا قيمة له، ولكنه يخصهما وحدهما.

عاد لكتابه الذى يقرأه.. أغرق نفسه بين السطور، انتهى من قرآته تماما حيث انتهت أصوات الضجة الصادرة إليه.

وفى الجهة المقابلة...

انتهت الحفلة أيضا .. خرجت سارة من الحمام بلا فستان أسطورى، وبوجه نظيف خالى من آثار أداوت التجميل وبشعر معقوص فوق رأسها .

ارتدت «ثيابا» مريحة واستلقت على سريرها

سعيدة.. سعيدة جدا... بل كأسعد ما تكون فتاة.. تماما كما تشعر كل الفتيات فى هذا اليوم

استغرقت فى أحلامها لتكمل باقى فصول المسرحية .. بيت مضئ .. يطل على حديقة.. حفل زفاف أسطورى.. فستان أميرات لم ترتديه أخرى من قبل .. وأطفال يشبهون أطفال الإعلانات.

وهنا تذكرت شيئا هاما فهبت من سريرها لتمسك بهاتفها، وتطلب رقم خطيبها الذى بدا وكأنه ينتظر هذه المكالمة لتقول له بكل براءة: نسيت أسالك ماذا سنسمى مولودنا الأول؟.

## كعكة الزفاف الفخمة

أدوار متعددة من الكعك الكلاسيكى الفخم .. حتما صنعتها أيدى ماهرة محترفة تماما.. هى ليست كعكة كل يوم... فخامتها تليق بصاحبها وتليق بكونها تصنع لمرة واحدة فى العمر.

## السيد العظيم

على عجل.. ترك استقالة غير مبررة على سطح مكتبه وغادر... فى أقل من ساعتين كان الجميع يتلق اتصالا غير مفهوم منه يدعوهم لحضور زفافه.. لم يستطع أحد أن يفهم من تليفونه المتعجل تفاصيل الزفاف لا مكان محدد ولا توقيت معروف.. فهموا بذلك أنه فقط يخبرهم بالأمر

حاول سكرتيره البحث بين أوراقه ربما فهم شيئا؛ لم يجد غير رسالة مكتوبة بخط يد منمق يعرفونه جيدا ويعرفون صاحبته.

تقول الرسالة....

سيدى العظيم

تحية طيبة.. أما بعد

أراك تخفى فى نفسك ما تبديه عيناك، وأريد أن أقول لك

أيها السيد المهيب القابع بين أوراقه المبعثرة خلف مكتبه الكبير..

أنا أعرف

أعرف ما تخفيه

يسعدنى شعورك .. لا يزعجنى أنك تخفيه .. ولا حاجة لى فى أن

أسمعها منك

شيئا أشبه بذرات الغبار الناعمة يخرج من بين ثنيات بذلتك الأنيقة ليخترق كل طبقات الهواء الفاصل بينى وبينك .. يسرى داخلى سريان الدم فى الشرايين، ويملأنى.

أضحك بينى وبين نفسى وأنا أراك تهيم فى وجهى مطمئنا لأنى لا ألاحظك

سيدى العظيم

أنا أراك وإن لم أنظر إليك

استطيع أن أرسم خريطة تفصيلية بحركة عينيك وهى تتفحصنى جزءا بجزء وانتقالاتها عبر وجهى فجسمى حتى تخترقنى تماما لتكمل مسيرتها بداخلى..

تثير جنونى بكل هذا الحب الذى تظهره عيناك حتى أنى فكرت ذات يوم أن أكافئك، وأترك لك هدية نظير كل هذا الحب المخفى بدقة متناهية.

سأضع لك بين أوراقك المبعثرة بطاقة تحمل عرضاً مجانيا للنظر إلى ولمدة ٢٤ ساعة

يمكنك الآن أن تجلس أمامى تتأملنى

العرض يشمل تأمل الوجة والنظر فى العيون مع إمكانية ان تمارس هواياتك فى تفحص جسدى أيضا ولكن «على استحياء».

استفد من الفرصة سيدى وتعال. فهذا العرض مجانى تماما معفى من الضرائب والرسوم. اخلع عن عينيك هذا اللجام الذى تربطهما به.. لن نطالبك أنا وقلبى بأى استحقاقات تالية لاستخدامك لهذه البطاقة.

فقد سددت مسبقا

منحتنى الكثير وأنت تنهار بكل ما لك من هيبة أمام عينى

أهديتنى تاجا لأميرات الأساطير باختيارك لى من بين كل هذا الزحام المتهافت عليك.

وسترت روحى التى أتعبها برد العالم بعباءة اهتمامك المجنون بكل تفاصيلى.

منحتنى كل دفء الكون بذاك الشعاع الحنون الصادر من عينيك.

أتذكر حين غبت عنك يوما؟

لم أنتظر شيئا قدر انتظارى لرؤية وجهك يتهلل فرحا عندما رأيتنى أمامك.

كانت معاناتك لتخفى شوقك لرؤياى أعظم أثرا فى نفسى من كل الحديث الذى لم تقله .. رعشة يداك التى احتارت فى قرار أن تمتد لتصافحنى.. _قبل أن تقرر أنت لها أن تتصلب بجوارك_ لمست روحى غصبا عنك.

كما لم يستطع جسدك أن يحفظ لوقارك هيبته طوال وجودى أمامك .. لقد سمعت أنين عظامك يا سيدى وهى تتلفت ناحيتى رغما عن إرادتك.

لما كل هذا العذاب؟

اهرب يا سيدى... اهرب من العادات البالية والقوانين العقيمة.. اهرب من ربطات العنق المتكلفة والبذلات الأنيقة، واهرب من المقاعد المنتصبة دائما، ومن الطاولات المستديرة.. اهرب إلى داخلك وستجدنى هناك فى انتظارك

اخطفنى إليك.. خذنى بين أحضانك

أتخشى أن يقول الناس جن العظيم؟

إطلاقا

سينبهرون بك كما يفعلون دائما .. سيفتحون ثغورهم إعجابا بجرأتك .. وستسمع أصواتهم حولك تصرخ اندهاشا أن فعلها السيد العظيم!

ثم سيقلدونك

وستفتح بذلك للمحبين بابا يداوى آلام قلوب كثيرة تعانى .. ستساعدهم جميعا لتبدأ أرواحهم رحلة علاجها على طريقة

«السير على خطى العظيم»

ما رأيك؟؟ أليس هذا بعملا شامخا يليق بك؟؟

اكتب اسمى إذن فى سجل إنجازاتك.. اجعلنى سطرا فى كتابك، ولو باللون الأحمر

اكتب عندك أنى أنا الملومة

قل للجميع أنى أنا المخطئة.. قل لهم أنى قد سرقت قلبك غصبا عنك.. اشرح للجميع أن هناك بداخل كل منا جزءا لا يمت له بصلة.. ليس لنا

عليه سلطان .. هى القلوب تدور بهواها وعلينا أن نمتثل..

اسمعنى سيدى...

فلربما كانت كلماتى هذه طوق نجاة لى و لك من عذابى وعذابك .. ربما استطعت أن تنام بعدها ولو لليلة واحدة.. فقد أضناك السهر حتى صرت تخطئ فى أسماء من حولك..

تخطئ أيضا فى حق ذاتك سيدى وفى حقى

فليس الحب محرما يا سيدى إلا فى حماقاتنا.. فى رجعيتنا وفى ظلامنا.. وفى نفوس القساة و الطغاة والمجرمين.

يليق الحب جدا بالعظماء .. فلا تخش أيها السيد المهيب أن يقلل حبك لى شيئا من هيبتك.. الحب فى حد ذاته حدثٌ جلل لا يطرق إلا أبواب الكبار أمثالك.. لم يخلق الحب للصغار.. لم يكن أبدا شيئا تافها نلهوا به كما سمعتك تقولها مرة.

كيف تظن أن اجتماعاتك المنعقدة دائما لحل أزمات الكرة الأرضية أهم من حديثك الصامت معى؟!!!، وكيف تحاول إقناع نفسك أن لديك ما هو أهم منى؟!،، تظن أنك بهذا تأخذ القرار السليم؟؟؟

يصور لك عقلك ذلك، ولكنه مخطئ تماما يا سيدى

صدقنى إن قلت لك إن كونك عاشقا لهو أمرا يجعلك أعظم وأجلّ فى نفوس الناس من كونك مهما أو غنيا أو مشهورا..

اترك تلك الأوراق الكئيبة المليئة بالأرقام الصعبة والمعقدة.. واقرأ شعرا، استمع لطيور الصباح تغرد لبعضها غير عابئة بالرياح التى تعصف

بكل شئ حولها..

تعلم شيئا جديدا عليك من قصص العاشقين الذين سبقوك.. ادرس شيئا غير تلك العلوم الصعبة التى أغصبت ذاتك الحرة على التقيد بدرسها.

لا يهتم الناس كثيرا يا سيدى بذاك الفرق الكبير بين من سطروا قصة هواهم على رمال الصحراء أمثال «قيس وليلى» و «عنتر وعبلة» أو فى قصور بلاد الأساطير مثل أميرات ديزنى .. فهم يحبونهم جميعا

لا يرى أحد ميزة لهؤلاء عن أولئك... لقد ساوى الحب بينهم ومنحهم رونقه ووهجه الخاص الذى يعلو على كل رونق ووهج.

جميع الناس يا سيدى يحبون العاشقين وقصصهم، بقدر ما يجلّونهم ويخشونهم ويخلدون أسمائهم بجوار أسماء آلهتهم القديمة.

نعم يضعون لهم العراقيل والعقبات بكل اسم؛ تارة هى العادات، وتارة هى القوانين، وتارة هو العرف

ورغم ذلك تراهم يستمتعون كثيرا وهم يتابعون أولئك الشجعان يكسرون كل ما سبق من أجل من يحبون

يتحدونهم ليرصدون خطواتهم ومغامراتهم فى خوض التحدى.

و يتمنون لهم جميعا _ حتى الأشرار منهم _ أن يفوزوا وأن ينتصر الحب.

نعم يا سيدى حتى الأشرار يحبون رؤية المحبين وهم يفوزون فى النهاية... جميعنا نحب النهاية السعيدة.

ولا أحد يقبل بهذا المصير البائس الحزين الذى وضعتنى وإياك فيه.

سيدى العظيم.. سأقول لك شيئا أخيرا

نعم يا سيدى.. وأنا أيضا.. أحبك

## كعكة القهوة

لأولئك الذين يعشقون تحلية المُر وتجرعه فى غلاف جديد كما لو كان حلوا... بعض المذاقات لا تذوب.. لا تنصهر مهما زادت حرارة الظروف.. بعض المذاقات قادر على أن يطغى فوق كل شئ.

## رضوان

بكامل إرادته اختار الترحال ظنا منه أنه يُبلى الأثقال التى تربطه بذكريات الماضى .. ولكنها بالعكس كانت تزيد .. فاضت عن قدميه فارتفعت لبقية جسمه .. قيدت خصره وصدره ويديه وأخيرا عقله .. لا يملك فى الدنيا من البشر أحدا .. لا يملك إلا هذه العربة الخشبية .. سلم لها نفسه ولم يسألها يوما إلى أين ستقوده .. فقد كان يؤمن أنها تعرف أكثر منه إلى أين يمضى فى هذه المدينة التى جاءها قبل ثلاثون عاما راكبا إحدى عربات القطار المتهالك قادما من قريته الصغيرة فى دلتا مصر ... لا يحمل شيئا وقتها بخلاف المرارة فى حلقه، والضجر يملأ قلبه من كل شئ، ورغبة قوية فى المُضى .. لا يملك شهادة يتسلح بها، ولا أقارب يتكئ عليهم فى القاهرة التى لا ترحم عجلات الحياة السريعة فيها القادم إليها .. هائما يفكر فيما يمكن أن يفعله؛ استيقظ من تردده على صوت رافعة تعمل فى عمارة حديثة.. ولأنه ضعيف الجسم لا يقوى على أعمال البنيان، ولأن أحد أقاربه نصحه بألا يحاول فى هذا المجال الذى يكاد يكون مقصورا على أبناء الوجه القبلى .. أدار رأسه عن فكرة السؤال عن عمل هناك، واتجه لإحدى المقاهى طالبا بعض الراحة التى ربما تقوده لحل... فوجئ عندما طلب منه صاحب المقهى أن يعمل «صبى» لديه... جرحت الكلمة فى البداية إحساسه بسنواته الأربعون التى وضعته على أعتاب عمر النبوة.. غير أن بريق الأمل الذى سطع فى باقى كلمات الجملة جذبه من إحساسه هذا .. « باب رزق برضه» وافق وبدأ العمل. مر الوقت و سرعان ما أصبح خبيرا فى أنواع

المشروبات المختلفة التى لم يذقها فى حياته.. فقد كانت أم عبدالله دائما ترفض عملها له، وقد كانت رحمها الله ذات كلمة مسموعة لديه ... فهى لم تكن فقط زوجته، وأم ابنه الوحيد، وإنما ابنة عمه و حب عمره أيضا منذ أعطاها له عمه وهى بنت يوم واحد وهو ابن ٨ سنوات.. قال له « امسك عروستك يا رضوان» ... وأصبحت فعلا عروسته .. كان يساعد زوجة عمه أحيانا فى تغيير اللفة لها .. أول ملعقة طعام ذاقتها كانت من يده.. وأول يوم ذهبت فيه لـ «الكُتّاب» كان هو من أمسك بيدها وأوصلها .. لم يترك يدها إلا عندما سقطت غصب عنه .. ماتت .. لم يستوعب الصدمة، ظل يرفع يدها وتسقط منه ويرفعها مرة أخرى فتسقط .. ماتت حزنا على ابنهما الذى أصابه مرض غامض وهو فى الخامسة عشرة من عمره.. خسر الاثنان معا فى عام واحد .. لم يخلف رحيلهما فى نفسه مجرد جرح كما تفعل الآلام العادية ... وإنما كانت لحظة أصابت روحه بعاهة مستديمة ... حالة من الملل من كل شئ.. أو قُل الزهد فى كل شئ.. دارت مشاعره نحو الأشياء دورة كاملة ثم وقفت تماما عند نقطة الصفر .. لا فرح ولا حزن أصبح قادرا على اختراقه..يقسم لمن حوله أنه شعر فى تلك اللحظة التى سقطت فيها يد أم عبد الله من بين يديه بتكة المفتاح وهو يغلق قلبه ..

من يومها و هذا المزارع الذى كان ليجلس بالشهور بجوار زرعته يراقبها وهى تكبر يوما بيوم، لم يعد يطيق لا الأرض ولا الزرع ولا البيت.. زهد الجلوس مع أصحابه ، ونسى الطرق المؤدية لمنازل أقاربه من قلة زياراته لهم .. وأخيرا.. نصحه أحدهم بالسفر.. «روح مصر يومين غيَّر جَو، و «زور الأولياء» ، يمكن ربنا يشرح صدرك من تانى» .. ومن هنا قرر السفر لا ليومين ولكن للأبد... باع الأرض والبيت.. لم يصدقه الناس وهو يهديهم أثاث البيت و ملابسه، بل وحتى ملابس عبد الله وأمه أعطاها لهم.. ثم استيقظوا يوما فلم يجدوه بينهم..

تفاءل بالعمل الجديد .. أخذته دوشة المقهى والزبائن من حزنه الشديد وظن أن تلتئم جراحه .. خمس سنوات مرت.. خرجت معهم من نفسه ذكريات القرية والأرض والزراعة وارتداء الجلباب، ولكن .. لم يطرق شيئا جديدا جدران قلبه...توقفت غربان الذكريات المرة عن النعيق بداخله.. بيد أن أوتاره لم تعزف أى الحان جديدة.. بل وأضافت الأيام مزيدا من الصدأ على أقفال قلبه الذى حل عليه الصمت فلم يعد ضيفا «صاحب مكان».. كل يوم يمر كان يؤكد أن هذه الأقفال يستحيل أن تنفتح مرة أخرى .. وظلت تلك العاهه التى أصابت روحة على حالها.

ومن جديد عاد الملل، وعاد الزهد، وعادت المشاعر التى تعطلت عقاربها إلى نفس نقطة الصفر التى توقفت عندها .. شجارُ كثير وشكاوى يومية لصاحب المقهى من تصرفاته

كل يوم نفس الزبائن.. يجلسون بنفس الأماكن.. ويطلبون نفس الطلبات جدال لا ينتهى مع الجميع.. يقدره صاحب المقهى ولا يقبل أن يهينه أو يجرحه بكلمة، وفى النهاية فاض بيه .. وأبلغه بالاستغناء عن خدماته.. لم يفكر عم رضوان كثيرا فى المهنة القادمة.. فالخيارات ليست واسعة.. اشترى عربة خشبية بما جمع من قروش قليلة، وبدأ يبيع عليها كل شئ، ثم يغيره فى اليوم التالى حتى قرر أن يبيع الفول..

أجاد فى صنعه للدرجة التى لم يعد يستطيع تغييره.. غير أنه لم يعد يطيل البقاء بعربته فى مكان محدد، ظل يتنقل بها من شارع لشارع حتى حفظ الشوارع كلها..عاد الملل، فقرر تغيير الحى كله.. ترك حجرته الصغيرة التى كان يستأجرها وانتقل لحى آخر ومن شارع إلى شارع ، ومن حى إلى حى.. حفظ شوارع القاهرة كلها.. ينجح دائما فى خلق زبائن فى كل مكان يذهب إليه بفعل إضافاته المتجددة التى يعتقد زبائنه أنه يضعها لإرضائهم.. ولكنه كان يحاول فقط أن يرضى نفسه التى لم تكن ترضى ولا

تحب ولا تميل، بل ولا حتى تكره..كان يُغير نوع العيش ونوع الزيت ونوع الملح .. الشئ الوحيد الذى لم يغيره هو هذه العربة الخشبية.. أحيانا كان يقول لنفسه « ربما لأنها مقطوعة من شجرة زيي « يضحك على المفارقة اللفظية ، ولكنه يدرك فى داخله أن هذه العربة هى التى تحميه من نفسه.. يثق فيها بشكل غريب .. وكانت هى دائما عند ظنه بها فكل مكان تقف فيه كان يكسب فيه زبائن وسرعان ما كانت تستقر أحواله، ولكنه سرعان أيضا ما كان يثور على هذا الاستقرار.. جازف فى إحدى المرات وذهب لأحد الأحياء الراقية، توقع أن تسوء أحواله، ومع ذلك قرر الذهاب فهى فى النهاية أحواله هو ولا تعنى أحد غيره ..» فلتسوء ولو من باب التغيير» .. ولكن أحواله لم تسوء، بل كون قاعدة زبائن جيدة،أشعرته بالرضا بعض الشئ، و بريح جديدة تدخل حياته خاصة مع الحكاوى المتجددة التى يسمعها من زبائنه، والتى لم تخطر بباله يوما ولكنها لم تكن رياح التغيير المنتظرة وإنما مجرد زوبعة مرت على فنجان حياته المُرَّة .. حركتها نعم، ولكنها سرعان ما استعادت ثباتها وجمودها، ورغم العلاقات الإنسانية التى بدأت تنشأ بينه وبين زبائنه من سكان هذا الحى، ورغم السعادة التى كان يشعر بها بينهم، و الرزق الوفير الذى بدأ يحظى به والذى يفوق أضعاف ما كان يحقق فى أى حى آخر، إلا أن كل ذلك لم يحرك عقرب مشاعره عن الصفر، و لم يستطع أن يُجَمّل شيئا من عاهة نفسه أو يداريها ، كان حب عبدالله وأمه كبيران فى قلبه إلى الحد الذى لم يتركا فيه مكانا لغيرهما.. كما أنه استهلك فى ارتباطه بهما كل حبال المودة التى أنتجها جسمه منذ مولده وحتى الآن.. فلما ماتا لم يعد هناك ما يبقيه على صلة بأحد أو بشئ... استيقظ أهل الحى ذات صباح ليجدوه قد أخذ عربته ورحل ..عاد من جديد لترحاله فى أحياء القاهرة الفقيرة و الغنية على حد سواء ، أصبح أهم من دليل التليفونات من حيث خبرته بكل مكان فى المحروسة، المكان الذى تقف فيه عربته أكثر دلالة من لافتات الشوارع للباحثين عن مكان ما، ووجوده فى شارع أهم من

وجود عساكر المرور لتنضبط الحركة فيه.. لم تفارقه الرغبة فى الرحيل.. فكر ذات مرة فى أن يسافر للإسكندرية مثلا ولكنه لم يرتح للفكرة فهو فى السبعين الآن ولم يعد يقو على المغامرات وكشف ستر الأماكن المجهولة، كما أن زيارة الأولياء وخصوصا «السيدة نفيسة» هى المسكّن الوحيد الذى يجعله يتحمل آلامه التى لم تسكن يوما .. أراحه ضعف بصره من أن يحفظ الوجوه فأصبح يتعامل مع الناس وكأنه يقابلهم لأول مرة.. كان يصر على تجاهل إحساسه بالأماكن فيلجأ لشخص ما ليقوده لمنزله رغم أنه أكثر العارفين بالطرق كلها، ذاكرته التى تحتوى على ملايين الذكريات تجعل حديثه متجددا كل يوم ، ورغم الحيادية التى يحكى بها حكاياته كلها السعيدة والحزينة منها على حد سواء إلا أنه ما زال الرجل الوحيد الذى لا يمكن أن تشعر معه بالملل، أيا كان الزبون فحتما سيجد عند عم رضوان حكايته المفضله.

وفى كل هذه الحكايات كنت أنا دائما شريكه... أعرف حكاياته التى يرويها للغرباء، و تلك التى لا يرويها إلا للمقربين فقد استقر به المقام بعد أن تجاوز الثمانين من العمر فى الجراج الخاص بوالدى حيث ينام هو وعربته الخشبية... أربع سنوات وأنا اذهب إليه يوميا يحكى لى واسمع منه ... أحيانا أصدق وكثيرا لا ... وإن كنت لا أجرؤ إلا على إبداء الدهشة وتأثرى بالحكاية.. وقبيل وفاته حكى لى حكاية غريبة شائت مصادفة أن اسمى عبدالله أن يخصنى وحدى بها... قال لى أنه يحتفظ فى عربته بسائل سحرى أعطاه له أحد العرافين.. هذا السائل كان يتناول منه ملعقة عند اللزوم لتسليك شرايين قلبه وإزاحة آثار الصدأ من عليها .. وأقسم لى أن هناك قفلا حديديا حقيقيت موضوع على قلبه ...والغريب أنى وجدت بالفعل بعد وفاته زجاجة بها بقايا سائل غريب الشكل مخبأه داخل العربة الخشبية عرضته على العديد من الأطباء والصيادلة والعطارين والعرافين ... وجميعهم لم يروا هذه المادة غريبة الشكل و اللون و الرائحة من قبل ...

صدّقوا أو كذّبوا .. المهم عندى أنى قد أوفيت بوعدى ، فقد أخذ علىّ عم رضوان وعدا قاطعا بأن أحافظ على عربته الخشبية. وأن أروى حكايته لمن يظنون أن كل شئ فى الحياة يتحول يوما ما لذكرى.. وأن أقول للجميع أن البعض مصنوع من معدن غير قابل للصهر مهما زادت حرارة الهموم .. أى أن أحكى حكايته للجميع .. وها قد فعلت.

**كب كيك**

اختارت بكامل إرادتها أن تمزق نفسها لأجزاء صغيرة... لتثبت للجميع أنها تستحق الاهتمام

**زهرة**

كيف يتعلم الإنسان ؟؟؟.....من أخطائه السابقة أم من خطايا الآخرين التى تنقلها حكاياتهم..كيف لنا أن نعرف ما سيرسله لنا القدر إلا عبر استنتاجات قد تصدق أو تخيب.. إن انتظار شيئا ما بعينه أهون على النفس بكثير من الانتظار على إطلاقه.. أن نتوقع.. خير من أن ننتظر.. حتى وإن خابت توقعاتنا بعدها.. حتى وإن جاءنا ما لم نكن ننتظره....

والألم المضاعف البعيد خير من تحمل وخز دبوس صغير ينغز فى أجسادنا الآن... وعلى هذا الأساس نرتكب جميعا كل ما نرتكب من خطايا فى حياتنا رغم علمنا التام والأكيد أنها ستؤدى بنا إلى النار

ولكن النار بعيدة.. وصوت الحرمان داخلنا آنى وصارخ يصم آذاننا وعقولنا

ورغم ملايين وملايين البشر ممن ارتكبو الأخطاء نفسها من قبل إلا اننا لا زلنا نكررها وبنفس الحماس وكأننا أول من يفعلها

لا يكفينا أن نرى أخطاء غيرنا وإنما يجب أن يكون لكل منا أخطائه الخاصة حتى نتعلم

كم مرة قلت لهذا الصغير ألا يقترب من الأطباق الساخنة

كم مرة رأيت لافتة تقول لك «التدخين ضار جدا بالصحة»

وكم مرة زارتنى أنا ملائكتى فى أحلامى تنصحنى بأن ابتعد

ولكن كان لابد لى أن أخطأ

لا أعلم لماذا يتعجب الآخرون من إصرارى على موقفى..ألا ترين؟ ألا تفهمين؟ ألا تتعظين من غيرك؟

كلمات سمعتها بدلا من المرة الواحدة آلاف المرات

أعرف أن هذا خطأ

ولكنى لا يمكننى أن أبقى ملاكا للأبد

إن هذا ضد بشريّتى

كنت أحتاج حقا إلى هذا الخطأ الواحدكحاجة طفلة حلّت ضفائرها إلى دفتر خاص وسرى لا يضم شيئا هاما أو خطيرا ولكنه يثبت لها أنها قد صارت أنثى.. ولم تعد زهرة تلك الطفلة الصغيرة.

دافعت عن خطئى واستمريت فيه مثل صبى خط اللون الأسود شاربه ولكنه لا يكتفى بذلك فلابد له من سيجارة يشعلها فى الخفاء أو قصه حب تافهه يعلم نهايتها سلفا ولكنه يعيشها بحذافيرها كما لو كانت حب العمر ويخوض من أجلها الصعاب.

كان لابدأن أخطئ، وما كان بيدى أن أتوقع ما ستجرى به الأقدار من وراء هذا الخطأ

كان خطئى الأول و الأوحد.. الأكبر والأصغر فى آن واحد

توقعت أن يمر الأمر مرور الكرام.. وتوقعت أن النتيجة الوحيدة ستكون

هى أن يعتاد الناس علي رؤيتى كمخلوقه من لحم ودم مثلهم تماما

لكنها كانت غلطة الشاطر

وتحت تأثير لعنه العناد التى أصابتنى ومن حولى

اضطررت أن أدافع عن موقف لا أويده وأن أتبنى أفكارا لا اؤمن بها.

فرحت أنطق بلسان غير لسانى، وأحارب فى معركة ليست معركتى حتى أحصل فى النهاية على حياة ليست لى ولم تكن يوما ما لتكون حياتى،لأفوز بمكاسب هى أقرب للخسارة بالنسبة لى

من قال أن هناك خاسر واحد فى أى معركة

الجميع خاسرون

الغالب و المغلوب و المتفرجون أيضا

لم أكن أعرف أنى أحمل فى صدرى تلك النفس الضعيفة الهشة التى يؤذيها صوت صراخها قبل أن يسمعه منها الآخرون، و تشعر بضربة يدها على وجه عدوها وكأنها تلطم نفسها بحجر من نار يشوه ملامح وجهها البريئة

ثرت على نفسى وعلى الجميع

ظننت أنى سأستمتع بنفسى جدا وأنا أرى فى عيون من حولى نظرة الصدمة باكتشاف شخص آخر

كانت تسعدنى جملة «انتى طلعتى داهية»

ولكنى كنت رغم ذلك بريئة

و لأنى حديثة العهد بالأخطاء

لم أكن أعرف أن هناك أسماء وأنواع و درجات للخطايا

من أين لى أن أعرف أن عالم الشيطان واسع جدا إلى هذا الحد؟

فهناك أخطاء يرتكبها الجميع ولا يعلنون عنها، وأخرى يذكرونها بل ويفاخرون بها

وهناكأخطاء لا يرتكبها أحد ليس لبرائتهم أونزاهتهم؛ ولكن لأنها لاتعود بفائدة على أحد

كنت «مسكينة « فعلا حتى وأنا أخطئ

من بين أخطاء البشر جميعا اخترت تلك التى لايفعلها أحد

لقد قذفت تمثالا صلبا بالحجارة

وكانت النتيجة

لقد آلمتنى يدى كثيرا

غير أن التمثال لم يتألم

و لم تفعل فيه قطعه الحجر الضرر الذى أحدثته فى نفسى

حتى تلك القطة العرجاء التى تقبع بجواره وتغيظنى بنظراتها

لم يهزها الموقف ولم تتحرك حتى من مكانها

غير أن الجميع عرفنى كشخص يضمر الشر، ويقذف بالحجر، ويرهب القطط البريئة

« المسكينة».....

ذلك اللقب الذى لم أعد أستحقه.

## البسكويت المالح

حاول أن يزاحم كثيرا على الرف أمام الأصناف الحلوة الأخرى .. كان يظن تميزه ومذاقه الخاص واضحا للجميع.. قد يبدو الملح والسكر متشابهان شكلا.. ولكن عند المقارنه يخسر الملح حتما المنافسة..

## منعم

بعينين تملؤهما الدموع قدم لها التهانى.. الآن فقط استطاع أن ينطقها.. الآن فقط استطاع أن يعترف بالحقيقة التى كان يراها منذ سنتين أمام عينيه.. عينيه اللتين كانتا من كثرة تعلقهما بها تراها وحدها ولا ترى هذا الآخر المعلق بذراعها فى كل مكان.. لم يصرح لها بحبه..كان يشعر بمشاعره طافيه على جسده .. إن كان يرتدى أمام الجميع ملابس فهو أمامها يرتدى مشاعره.. ولكن.. للأسف.. لم تراها.. كيف لم تلحظ ثبات بوصلته عليها وكأنها كعبته.. وكيف لم تدرك أن مصادفات ظهوره فى كل طريق تخطو فيه قدمها هى من تدابير قلبه الذى يحمل خريطة بكل تفاصيل خطواتها.. خريطة رسم فيها باللون الأخضر الأماكن التى تحبها وأصبح من مريديها، وظلل باللون الأحمر كل مكان تكرهه فحَرَّم على نفسه زيارته.. كيف تاه عنها أن عجزه عن الكلام معها كان سببه تلك العقدة التى عقدها جمالها على لسانه... سنتين كاملتين، فى كل ليلة يقول لنفسه غدا سأقول لها.. و يأتى الغد ويذهب تماما مثلما ذهب الأمس.. وخطوات هذا الآخر تقترب منها أكثر ..تحاصرها.. حاول كثيرا أن يقف بينهما.. فى كل مكان كانا يظنان أنهما وحدهما فيه كان هو ثالثهما..لم يهده تفكيره لأكثر من ذلك ..قال له عقله أنها عندما تراه حتما سترى مشاعره..واليوم عندما جاءت إلى العمل تحمل دبلة هذا الآخر فى إصبعها أدرك أن مشاعره كانت مرئية.. غير أنها لم تكن محسوسة.. أدرك أنه كان ضيفا ثقيلا على قلبها .. وأن كل محاولاته للتقرب منها كانت تبعده لتضعه فى منطقة العزول .. لو

كنت أدرى أن لا سبيل لمشاعرى للوصول لقلبك .. لكنت أول من يحوط حبك له بالرعاية .. كنت قدمت قلبى له هدية ليستطيع أن يحبك به كما أحببتك.. فأنا واثق أن قلبه لا يستطيع أن يسع حبا مثل الذى أحبه لك .. والذى لا يليق بك أقل من مثله.. ولكنى آثرت أن أتعلق بالأمل.. نعم كان عِندى أمل..أراكِ معه ليلا ونهارا وادّعى أنها مجرد لقاءات عمل .. نظراته لكِ ونظراتك له تخترقنى ولا أجد لها تفسيرا فأُمَنّي نفسى باليوم الذى ستلاحظين فيه كم أحبك فتدركين كيف تكون نظرة العين التى تحبك حقا.. بل أنى كنت أتخيلك تشتكين لى ندمك على كل لحظة وكل نظرة راحت منك لغيرى ..وكنت أسامحك..وانسى .. انسى كل شئ كان منك معه .. ولا أتذكر إلا حبك ..أرى اليوم فى عينيكى نظرة من يتشفى فى خصمه.. وكأنك كنت تنتظرين هذه الدبلة فقط لتضعيها فى عينى.. ولتخرسى بها لسانى الذى لم ينطق من الأساس .. لا .. لم أكن خصمك.. بل كنت الحبيب.. وكان هوالخصم..

وإذا كانت مرآتك المقعرة تعكس لك الواقع بالمقلوب فترينه هوحبيبك وترينى أنا الخصم..

فاسمحى لى منذ هذه اللحظة أن انسحب وقبل ذلك اسمحى لى أن أقول « مبروك» .. ليس لك وإنما له.. فقد فاز هو ..أما أنتِ فقد خسرتِ مثلى تماما.

## كعكة رخامية

مزاجين لا يختلطان مهما حدث سيظل الفارق بينهما ملحوظا رغم التلاحم بينهما ورغم أنهما مصنوعان تماما بنفس المقادير ونفس المكونات.

## هو وهى

فى غرفة مظلمة لا تحتوى إلا على قطعتى كرتون.. جلست وحيدة تفترش إحداهما.. وعلى القطعة الأخرى ترتمى مجموعة ألبومات مفتوحة تطل منها صِوَرُه.. صغيرا .. وكبيرا... وحيدا... ومعها... ومع أصدقائه... فى إحداها يضحك فتضحك ملامح وجهها مع الصورة ... وتنزل دموعها تجرى على الغلاف البلاستيكى لصورة أخرى تتجهم ملامحه فيها... وفى كلا الحالتين لا يرف جفن عينها.. كانت تضحك وتبكى وتمعن التركيز فى الصور فى هذا الظلام مفتوحة العينين ... تخشى أن تغمضهما فيضيع منها فى الصور أيضا..

هذه أول ليلة لها فى المنزل بعد أن تركها... وهذه الحجرة الخالية كانت غرفة مكتبه قبل أن يرحل... ترك لها كل شئ غرفة النوم... الصالون... السفرة.. فقط أخذ محتويات غرفة مكتبه وسرير صغير .. ولكنها هربت من كل الغرف واتجهت للغرفة الخالية عساها خالية أيضا من ذكرياتهما معا ... جولة سريعة بعينيها فى أرجاء الغرفة طمأنتها أن لا شئ يدعو للخوف.. فالغرفة مظلمة ولا تحتوى إلا على قطعتى كرتون.... جلست على إحداهما مطمئنة ونظرها للسقف... ولكن سرعان ما سحب بريق الضوء الخارج من الألبومات الملقاة على القطعة الأخرى نظرها.. رغم الظلام ميزت عينيه بين الموجودين فى الصور... ما كان لها أن تخطئ فى التعرف عليهما... فمن هاتين العينين تلقت أول إشارة حب ترجمها عقلها... ولمحت أول

نظرة اهتمام تشعر بها روحها... ومن هاتين العينين ذاقت حلاوة أيام الحب الأولى... ومنهما أيضا عرفت معنى خيبة الأمل المزدوجة فى نفسها وفى حبها... دمعت عيناها... ربما من تأثير الظلام .. وربما لأنها لمحت صورته هو الآخر... هو قريب لزوجها.. والسبب فى كل ما حدث... حمَّلَت الألبوم الذى يضم صورته كل غضبها منه ومن نفسها ومن زوجها ومن الظروف التى وضعتها فى هذا الموقف... قذفت به لأبعد مسافة استطاع ذراعها أن يمتد إليها.. ليختلط صدى اصطدامه بالحائط بصوت باب الغرفة الذى أغلقته بقوة خلفها وهى تخرج منها. وكأنها تريد أن تُحَمِّله رساله هو الآخر إلى زوجها.. ربما .. أو إليه... أو إلى الذكريات التى تحملها صور الألبومات و التى فقدت حلاوة كونها من الماضى تحت تأثير الندوب التى تعلو وجه حاضرها... كانت تريد أن تقول لهم جميعا.. اتركونى.. ابتعدوا عنى.. كفانى أن أياما بسواد ظلام الحجرة التى تختبئون بها تقف على طرف خطواتى .. تحاصرها ولا تسمح لها بالمضى لتنسى ما قد كان... كانت قد وصلت إلى غرفة النوم عندما وصلت إلى هذا الحد من القصة.. انتهت جولتها فى الشقة كما انتهى كل ما لديها لتحكيه لنفسها. فهى عادة لا تروى إلا ذلك الجزء الذى يبرر لها موقفها.. يريح ضميرها.. ويرضى عقلها.

أما زوجها الذى قابل كل مبرراتها بسخرية ملأت عينيه دموعاً خُيّل إليها أنها أول مرة تراه يبكى.. ولكنه كان يبكى كثيرا .. فقط هذه المرة كان بكائه مسموعا.. فلقد هبط ملاكه الطاهر من رتبة القديسين إلى حضيض الرذيلة آخذاً فى طريقه كل المعانى الجميلة التى كانت تملأ روحه من موطنها فى جسده إلى أصلها فى السماء.. لماذا إذن التمس العذر لها؟!

لم يسامحها.. ولكنه أيضا لم يعاقبها.. استغربت موقفه.. لقد ثار قليلا وبكى .. ثم أخذ متعلقاته وغادر البيت.. لم يضربها.. لم يصرخ فيها.. لم

يلومها حتى أو يسألها.. ربما لأن هذه هى ليست فقط الحقيقة.. أو هى ليست الحقيقة الكاملة..

وما الحقيقة إلا رسم ثلاثى الأبعاد على حوائط عقولنا.. نتصوره بناءاً كاملا واضحا من جميع الاتجاهات ما أن نحاول لمسه بأيدينا حتى نكتشف أن أبعاده ما هى إلا خطوط وهمية نخدع بها أبصار الآخرون .. أما الأبعاد الحقيقية التى لم يعرفها غيره، فهى إن كانت خانته فقد خانها قبل أن تخونه.. فقط هو كان أكثر حرصا على ألا ينكشف أمره .. وما كان ليتورط ويصرح بحقيقة مشاعره فى مذكرات مكتوبه مثلما فعلت هى واحتفظت بها لسذاجتها فى غرفة مكتبه..

ولكنه ولسنوات طويلة كان يعتبر نفسه زوجا مخلصا .. فحبه الآخر لم يتجاوز تجاويف قلبه.. فهل يعتبرها الآن زوجة خائنة؟! مذكراتها تقول أنها لم تفعل أكثر مما فعل هو .. إذا حاسبها فسيكون عليه أن يحاسب نفسه قبلها وربما حسابا أطول من حسابه معها.. فقد بدأ خيانته الذهنية قبلها بسنوات.. وإذا لم يفعل فبماذا سيفسر الطلاق الذى بات الخيار الوحيد لهما أمام أناس لطالما رأوا فيهما مثالا متجسدا للسعادة الزوجية... وبماذا يرد على نظرات استثارة الغيرة التى تطل من عينيها وكأنها تطالبه بأن يقتلها أرحم مما يبدو لها « لامبالاة» ؟؟...كان الحل الوحيد أن يخرجا سويا من صهد هذه الأزمة الملتهبة متماسكان ولكن مختلفان.. يحمل كل منهما سره بداخله.

## كعكة اللوز

ستظل تزهو بمكوناتها الفاخرة.. وطريقة صنعها المعقدة.. ولن تتنازل أبدا عن وضعها فى قوائم طعام الأماكن الفاخرة فقط..

## دكتور فاخر

دكتور فاخر دايما انسان محظوظ

لا يعلم لماذا ضايقته هذه الجملة وهو يسمعها من أحد أقربائه الذى قالها مهنئا له على قرار خطبته لابنة عمته الطبيبة الجميلة التى يحلم بها كل شباب العائلة... ترك المنزل وخرج هائما على وجهه لا يدرى إلى أين إلا أن صوت أنفاسه كان يملأ الشارع.. لاهثا.. تعلو نغمة دقات قلبه على رنين وقع خطواته.. كان يسير فى صحبة أفكاره التى ما كان يود أبدا اصطحابها معه فى طريق...

فهو قد خرج بعد خبرا قرأه فى إحدى جرائد هذا الصباح يقول أن المشى يساعد على تخفيف التوتر و القلق.. ولهذا خرج.. يحدوه أمل فى أن تتبخر أحلامه من جسمه مع حبات العرق .. القديمة أو الجديدة.. لا يعلم.. فقد تخلى عنهم جميعا.. من أجل من ؟!.. من أجل نفسه.. ولماذا؟!.. ليحقق أحلامه أيضا...

هو ذات الشخص لا تناقض خارجى فى شكله لا يحمل هيئتىّ دكتور جيكل ومستر هايد.. غير أنه من الداخل منقسم على ذاته لا تعرف روحه طعم الانسجام. ومع هذا يعتبره الجميع دائما شخص محظوظ

هذا هو السؤال الذى طالما يعجز عقله عن إجابته.. لماذا يعتبره الآخرون إنسان محظوظ؟!.. هل الحظ هو أن تأتينا الأشياء المثالية والطيبة أم أن يأتينا مانتمناه.. ما يُرضى هوانا أم ما ترتضيه لنا الأيام؟!.. لقد أسقطت

شجرة الحياة فى جيبه تفاحاتها الناضجة.. غير أنه لم يشتهى يوما التفاح..

أصبح طبيبا.. هذا جيد .. إلا أنه كان يتمنى أن يصير محاميا.. حاول إقناع أسرته بأن مهنة المحاماة ليست أقل من مهنة الطب.. كاد أن يصل لاقناعهم غير أنه فى لحظة القرار كان هو من تخلى عن رأيه واختار كلية الطب، فهو لا يستطع أن يتنازل عن نظرة التبجيل التى يراها فى عيون كبار العائلة، و نظرة الغيرة التى يراها فى عيون صغارها.. ولا عن نظرة الرضا التى يراها فى عيون والديه اللذان لم يعد يجمعهما غيره.

دائما كان ينظر لنفسه مرتين مرة بالمرآة، ومرة فى عيون الآخرين فيرى شخصين مختلفين.

فى المرآة هناك شاب حالم يعشق الأدب و المحاماة .. يعجبه الفن والفنانين وأولئك الذين يعيشون الحياة كما يريدون دون أى التزام أو قيد.. يخرجون على كل القوانين ويكسرون كل القيود.. وفى عيون من حوله كان ذلك الشاب العاقل المنظم الناجح والجاد فى الوقت ذاته.. ما يغيظه ويضايقه أنه كان دائما ما يضحى بنفسه التى يراها ليختار ذلك الآخر الذى يراه الناس..

غدا سيذهب لخطبة ابنة عمته .. طبيبة الأسنان الجميلة.. نعم أن حب ابنة صاحب كشك المثلجات الموجود أمام المستشفى يدفعه لأن يذهب بنفسه لشرب ثلاث زجاجات كوكا كولا يوميا رغم ايمانه كطبيب بضررها.. يفتعل الأسباب لرؤيتها .. ويخترع أى شئ ليتحدث إليها .. إلا أنه أبدا أبدا لن يلمح لها حتى بحبه..

يتمنى فى قرارة نفسه لو كان شخصا آخر يعيش فى زمن آخر.. فى مجتمع آخر.. مجتمع لا يسألنا ماذا نلبس وماذا نعمل، ومن سنتزوج.

أشرقت الشمس ولم يعد السير ممتعا الآن.. الضجيج الصادر عن شوارع المدينة التى أصبحت تتنفس ساكنيها بعد أن شغلوا كل حيز فى هوائها غطى على صوت أنفاسه.. استوقف سيارة تاكسى.. ركبها عائدا إلى البيت ليكمل استعداه لزيارة بيت عمته.. ارتاح على المقعد الخلفى للسيارة.. وارتاح عقله الذى كان يخشى أن تؤثر هذه الجولة على قراره.. أو أن تغير فى آرائه شيئا .. كان يخشى أن تقوى عليه نفسه فتجعله يسقط فى نظر الناس..لم يحدث شيئا من هذا .. إلا أن سؤاله ظل يطارده وهو عائد أيضا... هل هو حقا إنسان محظوظ؟!.

**كعك دايت**

**الأستاذ/ وجيه**

وضع زيتا مكان الزبد، والقليل من كل شئ فى محاولة لصنع شيئا حلوا مع الحفاظ على كل التعليمات الصحية.. اتبع كل إرشادات الأطباء.. وغلف ذاته بغلاف خارجى يحفظها من إفساد الحياة.. ومع هذا لم يحبه أحد.. ليس أثقل على النفس من مذاق الطعام الصحى

فوق أحد مقاعد محطة الأتوبيس جلس ينفض التراب المتناثر عن حذائه الأنيق ويعيد ترتيب خصلات شعره المنمق ... يعيد فك وربط أزرار الجاكيت كل خمس دقائق تقريبا، ويتبعها بالإطمئنان على وضع ربطة عنقه.. يبدو مثيرا لسخرية المارين بوجاهته التى لا تتلائم مع العام الثامن عشر بعد الألف الذى نعيش فيه، معركة قاسية يخوضها يوميا بإصرار متجدد متناسيا ألم الأسنان الذى يعصف به، وآلام ظهره المزمنة، ومعاناة يومه الطويل فى العمل حتى يصل إلى نفس المقعد الذى يجلس عليه مساء كل يوم على هذه المحطة فى انتظار الأتوبيس (٤٢أ) فى طريق العودة للمنزل.

وحيدا، غير أن العارف بأحوال النفوس سيراه مأتنسًا تماما بنفسه، كما يبدو أن بينهما اليوم حديثًا طويلاً و شيقًا .. شيئاً هاماً يشغلهما معا... صراعاً وضجيجاً وجدالاً عميقاً لو أطلقناه لكاد أن يملأ أركان الميدان الذى لا مجال فيه لأن يسمع أحدا مثل هذا الهمس المنبعث من روحه.

اااه لو تسمعون !!!!!!

خرجت هذه العبارة منه مع تنهيدة طويلة وهو يلقى بجسده المتعب على المقعد الرخامى.

أيعقل ألا يمر غير هذا الاتوبيس هو الوحيد بين كل وسائل

المواصلات _ التى تملأ هذه الشوارع جيئة وذهابا _ من منزلى لأمام مبنى المصلحة التى يعمل بها .. خمس وعشرون عاما وأنا أنتظره يوميا... أبدا.. لا يمكن أن أجازف باستهلاك طاقتى وأناقتى ووجاهتى فى «الشعبطة» التى يفعلها هؤلاء المتعجلون فى وسائل النقل الأخرى.

لن أفعل مثلهم أبدا.. لن أهرول جريا لألحق بعربة الترام قبل أن يغلق.. كما أنه ليس من العقل أن يُشقى الإنسان نفسه بالتنقل من عربة سرفيس للأخرى حتى يكمل خط سيره من مكان عمله لمنزله..

سأنتظر على المحطة حتى وإن قضيت الساعات .. فاليوم تحديدا لا أريد لشيئا أيا ما كان أن يزعجنى.

ربطة العنق الجديدة لم يلاحظها أحد.. فرحتى بها تكفى

تسريحة الشعر المختلفة، ورائحة مزيل التعرق الذى وقفت ساعات فى الصيدلية بالأمس لأنتقيها.. حسنا ..لا أحد لاحظ ذلك أيضا

أؤمن دائما أن المظهر الأنيق يعطى صاحبه سعادة غامرة تغطى على مرارة كل شئ.

كما أن اليوم تحديدا، لابد أن يكون كل شئ على ما يرام
أنا لا أسمح لأى شئ أن يكون على غير ذلك فى الأيام العادية
فما بالنا بهذا اليوم.. فاليوم عيد ميلادى
٥٤ عاما مرت حتى الآن
لا أصدق .. من الجيد أن لا أحد يسأل، وأنى غير مضطر على الرد ..
علاقاتى بالكثيرين من حولى لا تسمح بأكثر من مجاملة متحفظة ... كل عام وأنت بخير يا أستاذ وجيه .. شكرا جزيلا وأنتم بخير
هكذا ينتهى الحوار

لطيفا مجاملا متحفظا وحساسا تماما كالشخصية التى عهدها عنى الجميع ، هذا طبعا إلى جانب ابتسامتى التى لا تفارق وجهى .. لا أحد يعلم أنى رغم كل هذا التماسك أخفى بداخلى مثل أى انسان طبعا حزنا عميقا، ندما وحسرة على الجزء الطويل من العمر الذى جرى ، وقلقا وتوجسا من الجزء القليل الذى سيأتى .. إنكارا وترفعا عن إعلان الهزيمة فى معاركه السابقة، وحرصا واستبسالا فى الدفاع عن ما تبقى
فأنا أيضا مثل أى انسان مع كل عام يمر أكبر... تباً للعمر الذى يسرقنا ..

أنا لا أريد أن أكبر
ليست الأعوام هى من يجعلنا نكبر..
الحقيقة إننا نكبر كل يوم لا كل عام.. نكبر كل دقيقة.. وكل ساعة.
ومع كل غمضة عين بعد آخر يوم طويل _ أضعناه أو عشناه_ فى كلا الحالتين نكبر.. ومع كل صراع نخوضه فى كفاح يومى مستمر لسحب كل ما بداخلنا من إرادة ورغبة وشغف و إصرار على إعادة فتح عيوننا من جديد فى الصباح التالى «نكبر».
لكننا لا نحب أن نكبر، ولا نحب أن نقول ذلك، ولذا نتجاهل عمدا الأيام وهى تمر ونعترف فقط بمناسبة واحدة سنوية نحتفل فيها أو» هكذا نقول» بأننا نكبر
يخيل إلي أن من يحزنون لمرور العمر لا بد أنهم سعداء فى حياتهم الحالية ولهذا لا يريدون أن يغادروها.
لا نريد أن نترك شبابنا وصبانا وقوتنا وعنفواننا .. لا نريد مغادرة حفلات الأصدقاء وأفراح الأقارب وزيارات الأهل
كما لا نريد أن ننسحب من معترك الحياة وجنونها وصخبها .. لنركن إلى هدوء نهاية العمر، نجلس فى سكينة مثيرة للشفقة فى انتظار قطار المغادرة لتنطلق رحلتنا النهائية بلا عودة.
وإلا فلما هذا التعلق العجيب باللحظات لتبقى؟!

ننكر هذا دوماً ونشكو كل دقيقة تمر من عمرنا للدقيقة التى تليها..
نلعن كل سنة فور أن تبدأ.. ونبكى عليها إذا ما انتهت

وندعى دائما أننا غير سعداء
أنا أيضا لم أكن سعيدا أبدا مثلهم
لم أمر بأى من مراحل العمر كما كنت أحب
لست غاضبا
فقد حاولت فيهم جميعا..
كنت طفلا شقيا ملأت الأرض صراخا وعبثا ..لم أجن غير العقاب الدائم المستمر فى المدرسة تماما كما فى البيت.
لست غاضبا
صرت شابا لا يحظى بالكثير من الصداقات .. ولا يعرف كيف يفعلها الشباب ويجتذبون هؤلاء الفتيات.
لست غاضبا أيضا
يحترمنى الجميع فى عملى تقديرا لوضعى الإنسانى فلم أحظ بمكسب يجبرهم على احترامى غير ذلك
أنا راضٍ تماما بهذا
سعيد دائما
فقط أنا لا أحب أن أكبر
لا أريد أن أغادر الآن
بداخلى طفل صغير يصرخ فى وجه الحياة : مهلاً فأنا لم أصل بعد حتى أغادر
لم استمتع بكل ألعاب الطفولة غادرتها طفلا شقيا، شابا وحيدا، ولم أجرب حتى نجاحا عمليا يعوض خيبات القلب.
أتعبنى كل شئ حقا حتى أستطيع أن أتجاوزه.
ومع هذا فأنا سعيد بالعمر الذى قضيته وسعيد بأننى قد تجاوزته

حافظت على شبابى قدر ما استطعت.
شعر لا يسمح للمشيب أن يزوره، وجسد رياضى وابتسامة دائمة على الوجه مع عناية فائقة بتفاصيل كل شئ.
أبدو شابا دائما ولا يصدق أحد أنى تجاوزت الخمسين .. يقول كل من يرانى ذلك وكم يسعدنى هذا.
ولكنى مع ذلك أمارس عادة الرعب اليومي أمام المرآة
ارتعب من كل شعرة تفلت من آثار الصباغ، وارتعب من كل حركة تسمح لتجاعيد وجهى بالظهور، أزور طبيبا مختلفا كل شهر للاطمئنان أن كل شئ فى جسدى على ما يرام.
لا أريد أن أكبر
لم أعش حياتى بعد
هناك شيئا ما ينتظرنى
إحساس غريب
علاقة حب جديدة
نجاحا
شهرة ربما
مازال فى القلب بقية نبض وشوق وحنين لشئ ما .
يسمح البعض لأنفسهم بأن يكبروا بمنتهى البساطة
يتكيفون تماما مع كروشهم الممتدة أمامهم .. ينتقون ثيابا تتلائم مع ترهلات الزمن على أجسادهم وبألوان داكنة دائما.
لقد كبرنا!!!!
هكذا يعلنها الرجال ببساطة بالبذلات البنية، وتعلنها النساء بعباءاتها السوداء.
يتركون رؤوسهم لينال منها الشيب بكل فخر، ولا يعبئون بالهواء يتسرب بين التجويفات التى صارت تملأ أفواههم، والتى خلفتها أسنانهم المفقودة

واحدة تلو الأخرى.
ربما يبدون للمجتمع بذلك كأشخاص متصالحين مع ذواتهم
راضين، قانعين، عاقلين
أما أنا فأراهم يائسين، فاشلين، كاذبين
أراهم وكأنهم ما أحبوا الحياة يوما
وأكاد أن أجزم أنهم حاولوا كثيرا أن يبقو شبابا ولكنهم فشلوا ولهذا يأسوا، فادَعوا كذباً فرحهم بالكبر.
هذا الرجل الأربعينى الذى يبدو فى بدانته وصلعة رأسه كعجوز فى السبعين حاول حتما التخلص من كرشه الممتد أمامه، وهذه السيدة التى تُصر على صبغ وجهها بألوان لا تكفى _على كثرتها_ لتدارى كل هذه المساحة من الشحوم الممتدة بين أذنيها .. أراهن أنها فشلت مرارا فى محاولاتها التخلص من شهيتها المدمرة التى تعوض بها خسران كل شئ فى حياتها؛ الحب والأحلام والطموح.
هم فاشلون لا أكثر .. فشلوا أن يوقفوا سكين الحياة بتلامتها ورتابتها من اجتثاث طاقتهم وحيويتهم وشبابهم.. لم يستطيعو أن يظلوا صغارا فكبروا، وظلوا يكبرون .. ولكى لا يكونو كبارا بالمعنى البغيض لهذه الكلمة وما تعنيه من ضياع العمر والهيئة، وخسارة الصحة والحماس، انطفاء لمعة العين و شعله الحياة .. ولذا اعتبروا أنفسهم كبارا بذلك المعنى المحبب للنفس الذى وضعوه تعارفا بينهم للكلمة .. أسموا أنفسهم «حكماء» بمجرد أن نكبر نصبح جميعا حكماء أيا ما كان مستوى خبراتنا التى مررنا بها فى الحياة نعتبر هذه ميزة مضمونة نكتسبها تلقائيا بمرور العمر، ونبدأ فى إطلاق أقوالنا المأثورة.. سنة الحياة .. وقار الشعر الأبيض.. خبرة السنين..
كاذبووووون
لا أحد يحب أن يكبر .. لا أحد مستعد لأن يغادر

مهما قال لنا السابقون ومهما شهدنا من جنازات ومهما تُليت حولنا من آيات القرآن التى تقول لنا استعدوا .. لكننا لا نستعد ..
المستعدون فقط هم اليائسون؛ الذين فقدوا شغفهم بالحياة وإصرارهم عليها .. الذين لم يعد لديهم شيئا هنا فجلسوا ينتظرون على رصيف المغادرة ربما يجدون شيئا هناك
أما أنا فلم أرفع الراية البيضاء بعد.
أمارس الرياضة يوميا.. واشترى ثيابى بألوانٍ زاهية.. أصبغ شعرى وأصففه بتسريحات شباب العشرينات..
أخرج من بيتى يوميا فى قمة أناقتى لأجلس على رصيف الحياة أقاومها وتقاومنى
وانظر لهؤلاء الذين يجلسون بجوارى كل يوم وهم يتركون أماكنهم بكامل إرادتهم لينتقلوا إلى الجهة المقابلة .. هناك..
حيث لا أحلام بعد الآن
لا خطط للمستقبل
لا أمل
لا حب قادم
لا مفاجآت
لا ألوان زاهية
لا خوف من غد ولا قلق
يجلسون فى استسلام لا يليق بأعمارهم الصغيرة نسبيا على رصيف المغادرة
تمر بهم الأيام ولا يمرون بها ... ينقضى العمر عاما وراء عام..بل ربما يقضى بعضهم هناك أعواما أطول من تلك التى قضاها هنا
يستمتعون بأريحية كاذبة بغصة مغادرة الجمال لملامحهم وأجسادهم.
همساتهم الساخرة عنى تثير فىّ الشفقة عليهم، وعلى المصير الذى اختاروه

لأنفسهم.
أتمنى أحيانا لو كنت أمتلك مكبراً للصوت لأصرخ فيهم أن: «تعالوا إلى هنا.. مازال يوجد متسع للجميع»
مازال فى العمر بقية.. مازالت قلوبكم تنبض..
وكل ما أفسده الزمن يمكن لأرواحنا الحرة – إذا أرادت_ أن تعالجه.

يمكننا أن نعود شبابا.. يمكننا أن نعود أطفالا حتى.
انظروا ها هن الفتيات الجميلات يملأن الطرقات ضحكا ودلالا.. ها هى الألعاب بحالتها تنتظر كل طفل جديد لتعطيه بهجتها.
لم تفقد الألعاب بهجتها بعد.
ها هى عجلة الحياة تدور وتدور .. يتعلق بها فى كل يوم شخص جديد، بل أشخاص جدد ومع هذا فهى لا تأبه بأعداد الراكبين.. لا تعطل، ولا تضج.. وتعطى لكل راكب جديد كما لم تُعطِ أحداً من قبل.
اصرخ عليهم فى عقلى مرات ومرات، وأنصحهم كثيرا بأن يعودوا
لكن يبدو أنهم لم يعودوا يسمعون.
تبا لهم .. دعنا منهم
سأتصل بطبيبى لأؤجل ميعاد علاج أسنانى اليوم
فلدى الليلة حفلا خاصا سأقيمه لنفسى على شرفى، هناك كعك، وحلو، وبارد، وزينة، وبالونات، والكثير من البهجة لأملأ بهم صفحات عامى الجديد..

لا وقت لدى للألم.

**انتهى**

**أكتوبر ٢٠١٨**
**نورا م. نورالدين**